الفصل الثَّالِث

كِفايات تَوْجيه الصِّغار نَحْوَ العَمَلِ التَّطَوُّعيّ في ضَوْء القُرآنِ الكَريمِ

وقد انْتظم هذا الفصل في تمهيدٍ، وثلاثة مباحِث.

المبحَث الأوَّل: مكانة التَّطَوُّع في القُرآنِ الكَريم: آياتٌ حَثَّت عليه لفْظاً ومعنىً.

المبحَث الثَّاني: نماذجُ من صُوَر التَّطَوُّع في القرآن الكريم وكِفايات تَوْجيه الصِّغار نَحْوَه.

المبحَث الثَّالِث: التَّطَوُّع بين عَطاء السَّلْب وعَطاء الإيجاب.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

٣،١ التَّمهيد

لقد تمَّ التطرق في الفصل الثَّاني من هذه الدِّراسة إلى الحديث عن العمل التَّطَوُّعيّ من حيث ماهيته، وأهمِّيَّته، ودَوْره في بِناء شَخصِيَّة الصَّغير وتدعيمها، ولمزيدٍ من التَّأكيد على أهمِّيَّة موضوع التَّطَوُّع سيتركَّز الحديث في هذا الفصل على الكشْف عن أصالة مكانته في الدِّين الإسلامي من خلال الإشارة إلى أهمّ مرجعيَّةٍ يتَّخذها المسلمون نبْراساً يهتدون به، ودستوراً لحياتهم في كل تفاصيلها تتمثَّل في القرآن الكريم. وبناءً على ذلك ينْتظم هذا الفصل في ثلاثة مباحِث، الأوَّل منها يتحدَّث عن مكانة التَّطَوُّع في القرآن الكريم، والإشارة إلى الآيات التي أتت على ذِكْر لفْظه صراحةً، والآيات ذات الصِّلة به، ودلّت عليه معنىً، ولكن بمفرداتٍ أخرى. يلي ذلك في المبحَث الثَّاني الكشْف عن نوع وطبيعة التَّطَوُّع ما إذا كان في عمَل خيرٍ أم في سِواه، وما إذا كان قَولاً أو فِعلاً، بالإضافة إلى رصْد هويَّة المتَطَوِّع من خلال ذِكْر نماذج تَطَوُّعيَّةٍ مُختارَةٍ تضمَّنتها حياة أنبياء الله الكرام عليهم أفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام، فخَلَّدتها آياتٌ كريمةٌ، مع مراعاة التَّسلسل الزَّمني لحياتهم عليهم الصَّلاة والسَّلام. ثمَّ في المبحَث الثَّالِث تمّ طَرْح مفهومٍ جديدٍ لنوعٍ من التَّطَوُّع أطْلَقَت عليه الباحثة " تطوُّع عَطاء السَّلْب" مع ذِكر تأصيله، ونماذج من القرآن الكريم دلَّت عليه. وفي إثْر كلّ نموذجٍ تمَّ التطرُّق إليه في هذا الفصل، ختمته الدِّراسة باستخراج دروسٍ وعِبَرٍ مستوحاةٍ لتكون كِفاياتٍ ذات أثَرٍ كبير، يقوم المربّي بالعمل على تَوْجيه الصِّغار إليها، وجميعها تَهدِف إلى اتِّخاذ التَّطَوُّع منْهجاً قويماً في الحياة، وتؤكِّد الدِّراسة أنَّ هذه الكِفايات تُسْهِم في بِناء شَخصِيَّة الصَّغير بِناءً قويّاً ومتيناً من كافَّة الجوانب ليعيش حياةً أكثر استقراراً وأكْرم عَطاءً في الدُّنْيا، وينْعم في الآخِرة بجزيل الثَّواب من ربِّ العباد فهو سبحانه وتعالى الغاية والمقصد.

٣،٢ المبحَث الأوَّل: مكانة التَّطَوُّع في القُرآنِ الكَريم: آياتٌ حَثَّت عليه لفْظاً ومعنىً

نَصَّ القرآن الكريم على أنَّ الإنسان هو المخلوق المكرَّم عند الله تعالى، فقال سبحانه في مُحْكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[٣٠٨]، وجعَل الله سبحانه وتعالى كلّ التَّكاليف مؤكّدةً لجوهر هذا التَّكريم، ملبيَّةً لحاجات البشريَّة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، تقْرِن بين اعتقادٍ صحيحٍ يُصدِّقه عملٌ صريحٌ. وبناءً على هذه القاعدة جاءت الآيات الكريمة في خمسين موضِعاً[٣٠٩] تقْرِن بين الإيمان والعمل الصَّالح مطلقاً، قال تعالى في مُحْكَم كتابه العزيز: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾[٣١٠] فالإسلام إيمانٌ يُصدّقه العمل. ولمْ يترك المولى عزَّ وجلَّ أمراً يصلح به حال العباد في الدُّنْيا والآخِرة إلّا وذَكَره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿.. مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ... ﴿٣٨﴾﴾[٣١١]، فبَيَّن لعباده ما ينفعهم ورَغَّبهم فيه، وذَكَر ما يَضرّهم ونَهاهم عنه، وزاد في تحذيرهم فأمَرهم باجتناب ما يؤدِّي إليه، وهذا من رحمة الله عزَّ وجلَّ بخلْقه، قال تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٣١٢].

ولَمّا كان القرآن الكريم هو المصْدر الأوَّل للعقيدة، وهو كذلك المصْدر الأوَّل للشَّريعة[٣١٣]، كانت المبادئ والمقاصد التي دعا إليها القرآن الكريم من أرْقى وأفضل ما يمكن الدَّعوة إليه ممّا يصْلح به حال البشريَّة جمعاء، ويقودها إلى الاستقرار، وبناء حياةٍ كريمةٍ بعيداً عن كلِّ ما يشوبها من زَيغٍ أو أنانيَّةٍ مقيتةٍ أو انحرافٍ لفطرة الإنسان، وكان رأس تلك المقاصد الدَّعوة إلى التَّوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ

---

[٣٠٨] القرآن. الإسراء ١٧:٧٠.

[٣٠٩] موقع تفسير https://www.altafsir.com/Quran_Search.asp

[٣١٠] القرآن. الإسراء ١٧:٩.

[٣١١] القرآن. الأنعام ٦:٣٨ .

[٣١٢] القرآن. النحل ١٦:٨٩ .

[٣١٣] يوسُف القرضاوي. ١٤٢١هـ. *كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟* . طبعة خاصة. القاهرة. دار الشروق. ص.٥٣.

ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[٣١٤]، وتأتي كلّ المقاصد الأخرى تبعاً له.

ولا شكَّ في أنَّ التَّطَوُّع في أعمال الخير يُكرِّس الدَّعوة إلى التَّوحيد، ويُعَدّ من العمل الصّالح الذي حثَّ الشَّارع سبحانه وتعالى عليه عباده المؤمنين، وورَد ذِكْره بنصٍّ صريحٍ في جملةٍ من الآيات القُرآنيَّة الكريمة كما سيأتي بيانه، وتجلَّت معانيه في عددٍ ليس بقليلٍ من آيات الذِّكْر الحكيم من خلال القَصص القرآني تارةً، ومن خلال الحَضّ على عمل الخير، والتَوْجيه له، والمبادرة لخدمة الآخَر تارةً أخرى، وبيان الثَّواب الجزيل، والمقام الرَّفيع الذي يحْظى به فاعله في الدُّنْيا والآخِرة، وفي هذا تقريرٌ لأهمِيَّة الأخوَّة الإنسانيَّة، وتحقيقٌ لمعنى العبوديَّة لله.

وكما أنَّ التَّطَوُّع في الأعمال الصَّالِحة يُعَدّ عملاً محموداً يُثاب صاحبه، فإنَّ التَّطَوُّع في الشَّر أمرٌ قبيحٌ مكروهٌ لا ينْجو مُرْتكبه من الذمّ لعمله واستحقاق العقاب عليه. وبيانُ هذه المعاني الدَّقيقة للصِّغار، وتناوُل المرَبِّين لها بالشَّرْح والتَّوضيح ضمن نطاق الأسرة، وفي محيط المدرسة من خلال المناهج الدِّراسية بما يتناسب ومداركهم العقليَّة واستعداداتهم النَّفسيَّة يُعَدّ من الأمور التَّربويَّة المحوريَّة، وهو من الكِفايات الملقاة على عاتق مَن يحمل هَمّ إعداد أجيالٍ صالحةٍ مُصلِحةٍ، لأنَّها تُسْهِم في تكوين الشَّخصِيَّة الواعية والواثقة والمتفاعلة والإيجابيَّة في نواحي الحياة المختلفة ومجالاتها، خاصَّةً إذا اقترن البيان بالممارسة العمليَّة من الوالدَين في البيت والبالغين من أفراد الأسرة، وكذلك الممارسة العملية للمعلّمين في المدرسة باعتبارهم القدوات التي يتطلَّع لهم الصِّغار باحترامٍ وتقديرٍ وتأثُّرٍ، وكذلك في الأنشطة المدرسيَّة المصاحِبة للمنهج النَّظري، وأيضاً على نطاقٍ واسعٍ في الأنشطة المجتمعيَّة.

[٣١٤] القرآن. الأعراف ٧:١٧٢.

٣،٢،١ آياتٌ قُرآنيَّة تَذْكر التَّطَوُّع بصَريح اللَّفْظ

يتكوَّن جذْر كلمة التَّطَوُّع من ثلاثة حروفٍ هي (ط–و–ع)، وعندما قامت الباحثة بالبحث في القرآن الكريم عن تَكرار كلمة "طوع" باستخدام الجذْر، أسْفر بحثها عن ظهور ١٢٩ نتيجةً[٣١٥]، تمحورت حول ثلاث كلماتٍ مصدريةٍ هي: الاستطاعة، التَّطَوُّع، الطَّاعة. وقد ورَدت كلّ كلمةٍ من تلك الكلمات في القرآن الكريم باشتقاقاتٍ لغويةٍ مختلفةٍ ما بين فِعْلٍ وصفةٍ ومصدرٍ. فالتَطَوُّع يشترك مع كلمتَيْ الاستطاعة والطَّاعة في المعنى، إذْ إنَّ التَّطَوُّع لا يكون إلّا في أمْرٍ يقْدِر المرء على فِعْله، فهو في مقدَوْره، فتلك هي الاستطاعة، وهو يأتيه من باب الرَّغبة والاستجابة لممارسته، فتلك هي الطّاعة، ويُقبِل عليه راغباً مُرَحِّباً مُختاراً دون أنْ يكون مُلْزَماً، فذلك هو التَّطَوُّع، فهو طائِعٌ ومستَطيعٌ ومتطَوّعٌ.

ولقد وَرَد ذِكْر التَّطَوُّع في القرآن الكريم بلَفظٍ صريحٍ، ولكن باشتقاقاتٍ مختلفةٍ في تسْعة مواضع، وبيانها على النَحْوَ الآتي:

- ثلاثةُ مواضع منها جاء ذِكْر التَّطَوُّع فيها بصيغة الفِعل الماضي (تَطوَّع، طَوَّع) وهي على التوالي:
  - موضعان في آيتَيْن من سورة البقرة:
  - الأوَّل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾[٣١٦]،

[٣١٥] مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي. التصفح في: ١٦ أغسطس ٢٠٢٠.
https://www.altafsir.com/Quran_Search.asp?LanguageID=١ .

[٣١٦] القرآن. البقرة ٢:١٥٨.

- والثَّاني في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾[٣١٧]،

- والموضع الثَّالِث جاء في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[٣١٨].

- ثمَّ ورَد لفْظ التَّطَوُّع بصيغة المصْدر "طَوْعاً" في أربعة مواضع توزَّعت في أربع سُورٍ على نَحْوَ ما يلي:

- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[٣١٩]،

- ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾[٣٢٠]،

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾﴾[٣٢١]،

- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[٣٢٢].

- وورَد لفْظ التَّطَوُّع بصيغة اشتقاقٍ أخرى هي صيغة اسم الفاعِل:

- وقد اشتملت عليه الآية السَّابقة من سورة فصلت بلَفظ "طائعين"،

---

[٣١٧] القرآن. البقرة ١٨٤:٢.

[٣١٨] القرآن. المائدة ٣٠:٥.

[٣١٩] القرآن. آل عمران ٨٣:٣.

[٣٢٠] القرآن. التوبة ٥٣:٩.

[٣٢١] القرآن. الرعد ١٥:١٣.

[٣٢٢] القرآن. فصلت ١١:٤١.

- كما تكرَّرت صيغة اسم الفاعل في سورةٍ كريمةٍ أخرى هي سورة التوبة، حيث وردت بلفْظ "المطوّعين" في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾[٣٢٣].

ولمْ يرِد لفْظ التَّطَوُّع على اختلاف اشتقاقاته في غير تلك المواضع التِّسعة المذكورة أعلاه، إلّا أنَّه ورَدت آياتٌ كثيرةٌ تشير إلى معناه، ولكن بألفاظٍ مرادفةٍ تفيد في معناها التَّطَوُّع في فِعْل الخير كما سيأتي بيانه في الجزء الثَّاني من هذا المبحَث.

وقبْل الانتقال إلى الحديث عن الآيات التي حَثَّت على التَّطَوُّع ضِمْناً، وبَسْطه بأدلَّته لا بدّ من بيان بعض النِّقاط المهمَّة التي اتَّضحت للباحثة –في حدود عِلْمها– من خلال عملية الاستقراء المستفيضة في الآيات التي اشتملت على جذْر كلمة "التَّطَوُّع" بالاشتقاقات المختلفة، والتأمُّل فيما سَطّره المفسِّرون في بعض كتب التَّفسير التي تَقَدّم ذِكْرها في حدود البحث، فقد كشَفت الدِّراسة عن فوائدَ عديدةٍ يُمكن إجمالها في النِّقاط الآتية، مع التَّنويه إلى أنَّ فِعْل التَّطَوُّع غير مَقصورٍ على الإنسان، بل يتعدّاه إلى غيره من المخلوقات، فقامت به:

- موافَقة المعنى اللّغوي للمعنى الاصطلاحي: فالتَطَوُّع ما هو إلّا ممارسةٌ عمليةٌ، وطاعةٌ وانقيادٌ لرغبةٍ داخليةٍ تأتي بدافعٍ ذاتيٍ ينْبع من النَّفْس، فيُترْجَم دون إجبارٍ إلى عملٍ ظاهرٍ. فالمرء يأتي العمل الذي هو باستطاعته ممّا ليس بفرضٍ أو واجبٍ عليه طائعاً مُختارًا وراغباً راضياً. ولذلك قوبِل في بعض الآيات بكلمة الكَرْه الذي هو نقيض الطَّوْع، وهو أنْ تعمل الشَّيء كارِهاً[٣٢٤]، حتَّى أنَّ السَّماء والأرض على الرّغم من أنَّهما ليستا من أهل العقول والإدراكات إلّا أنَّهما انقادتا طواعيةً طائعتيْن لله

[٣٢٣] القرآن. التوبة ٩:٧٩.

[٣٢٤] الرازي. ١٩٧٩م. معجم *مقاييس اللُّغَة*. ص. ١٧٢. ابن منظور. ١٤١٤هـ. *لسان العرب*. المجلد الثامن. ص ٢٤٠.

عزَّ وجلَّ كما ورَد عن ابن عاشورٍ في تفسيره حيث قال: " وأمّا قَوْلُهُ: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾، فَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ قَوْلُ السَّماءِ والأرْضِ مُسْتَعارًا لِدَلالَةِ سُرْعَةِ تَكَوُّنِهِما لِشِبْهِهِما بِسُرْعَةِ امْتِثالِ المأْمُورِ المطِيعِ عَنْ طَواعِيَةٍ فَإنَّهُ لا يَتَرَدَّدُ ولا يَتَلَكَّأُ "[٣٢٥]، وذكَر القرطبي في معنى الآية:" أَيْ أَتَيْنَا أَمْرَكَ" طَائِعِينَ"[٣٢٦]، وقال: " لَمَّا وَصَفَهُنَّ بِالْقَوْلِ وَالْإِجَابَةِ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ مَنْ يَعْقِلُ، أَجْرَاهُمَا فِي الْكِنَايَةِ مَجْرَى مَنْ يَعْقِلُ"[٣٢٧]. وهذا الذي ينْبغي أنْ يكون عليه حال المؤمن من سرعة الاستجابة والانقياد لأمْر الله، والمبادرة طَواعيةً لفِعْل كلّ ما يحبه ويرضاه، فالجمادات ليست بأحقّ منه بهذه الطَّاعة والطَّواعية لله بعد كلّ ما حباه من تكريمٍ وأولاه، وهذه قيمةٌ عظمى، وكِفاية كبرى ينْبغي تقديمها للصَّغير في قالبٍ شيّقٍ محبَّبٍ، فتكون سَبباً في دَفْعه لتعظيم الإيمان بالله، وكذلك ليتناغم مع البيئة وما حوَت من مخلوقات، فيشعر أنَّها سبَقَتْه للإيمان بالله والإذعان له، فيُقدّرها ولا يتوانى في الاهتمام بها، ويحْرِص على التَّطَوُّع في خدْمتها والمحافظة عليها، وهذا ما يُعدُّ في التَّرْبية الحديثة من المهارات التي يحسُن تعليمها للصِّغار، فهي تحفّز لديهم الذَّكاء الطَّبيعيّ أو البيئيّ وتُنمّيه، وهو أحَد أنواع الذَّكاءات المتعدّدة التي تجعل الصَّغير متفاعِلاً مع الطَّبيعة تفاعُلاً إيجابيّاً إنْ لقِيَ حُسْن التَوْجيه والتَّعليم المناسِبَيْن[٣٢٨]، فلا يتعرَّض لها بالسُّوء، ولا يقوم بالتَّسبُّب في إتلافها، وإلْحاق الضَّرَر بها، وإيذاء الأحياء التي تعيش فيها. كما يدْفَعه الفضول لاستكشافها والتَّعرُّف عليها أكثر.

إنَّ العمل على تنْمية حِسِّ المسؤوليَّة في شَخصِيَّة الصَّغير تجاه البيئة وإيجاد مستوى متقدّمٍ من التَّوافق بينهما، وتذْكيره بأنَّه خليفة الله في الأرض يدْفَعه إلى المحافظة على مُقوّمات ومُقدَّرات الحياة فيها، منْضَبِطاً

---

[٣٢٥] ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر. ج ٢٤. ص. ٢٨٤.

[٣٢٦] القرطبي. ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج.١٥. ص. ٣٤٤.

[٣٢٧] المصدر نفسه.

[٣٢٨] شواهين، خير سُلَيمان. ٢٠١٤. *نظرية الذَّكاءات المتعددة: نماذج تطبيقية*. إربد: عالم الكتب الحديث. ص. ١٢.

بأخلاقيَّات القرآن حيث يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا .. ﴿٥٦﴾﴾[٣٢٩]، وجاء في تفسير القرطبي: " أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَهَى عَنْ كُلِّ فَسَادٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ بَعْدَ صَلَاحٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ. فَهُوَ عَلَى الْعُمُومِ عَلَى الصَّحِيحِ من الأقوال. وقال الضَّحاك: معناه لا تعوروا[٣٣٠] الْمَاءَ الْمَعِينَ، وَلَا تَقْطَعُوا الشَّجَرَ الْمُثْمِرَ ضِرَارًا"[٣٣١]، ففي الآية دليلٌ على أنَّ الأصْل في المضارّ والآلام الحُرْمة والمنْع على الإطلاق، وأنَّ الأصل في المنافع الحِلّ[٣٣٢]، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ... ﴿٣٢﴾﴾[٣٣٣].

لِذا توضّح الدِّراسة فائدة هذا العَرْض الإيماني عن طاعة المخلوقات غير العاقلة لله، واستجابتها طَواعيةً لأمْر الله الذي سخَّرها لخدمة الإنسان وجعَلَها مُذَلَّلةً له، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ .. ﴾[٣٣٤]، فهو مَدْخلٌ جيِّدٌ لتحفيز الصِّغار وتشجيعهم على:

- حُبّ البيئة والمحافظة عليها، فلا يكْسِروا غُصْناً، ولا يحْرقوا أرْضاً، ولا يرموا على الأرض قذَراً، خاصَّةً وأنَّ النَّبيّ ﷺ ذَكَر الأرض بخيرٍ، فمِنْها يتطَّهر المسلم استعداداً للصَّلاة حيث قال ﷺ: "... وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاة فَلْيُصَلِّ ..."[٣٣٥]، وأيضاً يُحافِظوا على عدَم الإسراف في الماء، ولا يحبّذوا أبداً تلْويث الهواء بالغازات المنْبعثة من الحرائق والمصانع وسلوك بعض البَشَر كالتَّدخين وما شابه.

---

[٣٢٩] القرآن. الأعراف ٧:٥٦.

[٣٣٠] عورت عيون المياه: إذا دفنتها وسددتها.

[٣٣١] القرطبي. ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج.٧. ص. ٢٢٦.

[٣٣٢] الرازي. ١٤٢٠ هـ. *مفاتيح الغيب= التفسير الكبير*. ج. ١٤. ص. ٢٨٣.

[٣٣٣] القرآن. الأعراف ٧:٣٢.

[٣٣٤] القرآن. لقمان: ٣١:٢٠.

[٣٣٥] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الرقاق. بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ. ج. ١:٣٧٠. رقم الحديث ٥٢١.

- السَّعي في خدمة البيئة بأعمالٍ تطوعيةٍ متنوّعةٍ من أجل التنمية المستدامة، مثل زرْع الشَّجر لزيادة المساحة الخضراء، وتنقية الهواء، ولا يتعرَّض للمخلوقات الأخرى بالضَّرَر.

- وهذا مِن شأنه تنْمية التَّفكير الإبداعي من خلال التفكُّر، والاستكشاف لهذه الطبيعة المؤمنة وما فيها من أحياء، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾[٣٣٦].

- كما يعلِّمهم استثمار الفُرَص المتاحة لخدمة البيئة، وتعزيز الطُّموح والمبادرة، وممارسة العمل الجماعي المنتظم من خلال تربيةٍ بيئيةٍ ممنهجةٍ، تُسْهم في أهدافها البعيدة في حَلِّ المشْكلات البيئية التي تواجهها المجتمعات[٣٣٧].

- مشروعية التَّطَوُّع في عمل الخير، خاصَّةً إذا كان هذا العمل من جِنْس ما افترضه الله سبحانه وتعالى على عباده، إذ وَرَد ذِكْره في الآيات الكريمة في سياق الحديث عن ركنَيْن عظيمَيْن من أركان الإسلام (الحَجّ والصِّيام) مع الثَّناء على فاعِله، ولهذا شاهِدٌ من سُنَّة المصطفى ﷺ فيما يرْويه عن ربِّه سبحانه وتعالى حيث قال: "... وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدي بِشيءٍ أحبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليهِ، وما زالَ عَبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ،..."[٣٣٨]. وأوْرَد الإمام مسلم في صحيحه: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَاللَّيْلَةِ» فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاة، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»،

---

[٣٣٦] القرآن. الجاثية ٤٥:١٣.

[٣٣٧] فتيحة طويل.٢٠١٢/٢٠١٣. *التَّربية البيئية ودَوْرها في التنمية المستدامة*. (رسالة دكتوراة). جامعة مُحَمَّد خيضر –بسكرة– الجزائر.

[٣٣٨] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الرقاق. باب التواضع. ج. ٨: ١٠٥. رقم لحديث ٦٥٠٢.

قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»"[٣٣٩].

فمشروعية التَّطَوُّع مُسْتَمَدةٌ من مصدَرَيْ التَّشْريع في الدِّين الإسلامي وهما القرآن الكريم والسُّنَّة المطَهَّرَة، فهما الأصل لما سِواهما[٣٤٠] عند النَّظر للأخْذ بالأدِلَّة، وتتحقَّق بالتَطَوُّع مقاصد الشَّريعة الرَّامية إلى الحِفاظ على الضَّروريات الخَمْس كما يقرِّرها علماء أصول الفِقه من حِفْظٍ للدِّينِ، وَالنَّفْسِ، وَالنَّسْلِ، وَالْمَالِ، وَالْعَقْلِ[٣٤١]. فمَن يتَطَوَّع في مجال الدَّعوة إلى الله سواء بالمجهود البدَني أو البذْل المالي فهو في باب حِفْظ الدِّين تصْديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[٣٤٢]، وأيُّ خيرٍ أعْظم من الدَّعوة إلى دين الله. ومَن يتَطَوَّع في مجالات الصِّحة الجسديَّة أو النَّفسيَّة فهو في باب حِفْظ النَّفْس من الهلاك أو إلْحاق الضَّرَر بها تصْديقاً لقوله تعالى: ﴿.. مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ..﴿٣٢﴾﴾[٣٤٣]، ومَن يتَطَوَّع في تيْسير إحْصان مسلمٍ أو مسلمةٍ بالزَّواج فهو في باب حِفْظ النَّسْل، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾[٣٤٤]. ومّن يتَطَوَّع في التَّيْسير على مُعْسرٍ، وبذْل المال في الوجوه التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى فهو في باب حِفْظ المال، فالله سبحانه وتعالى يُضاعِف الحسنات، ويُؤتي المُنْفق من البركات ما لا يعْلَمه إلّا

---

[٣٣٩] مسلم. د.ت. صحيح *مسلم*. كتاب الإيمان. باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام. ج. ١: ٤٠. رقم الحديث ١١.

[٣٤٠] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. *الموافقات*. تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. د. م: دار ابن عفان. ج. ٤. ص. ١٤٣.

[٣٤١] المصدر نفسه. ج. ٢ ص. ٢٠.

[٣٤٢] القرآن. آل عمران ٢:١٠٤.

[٣٤٣] القرآن. المائدة ٥:٣٢.

[٣٤٤] القرآن. النور ٢٤:٣٢.

هو سبحانه تصْديقاً لقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[٣٤٥]. ومّن يتَطَوَّع في نَشْر العِلم، ورَفْع درجة الوعي لدَى الأفْهام فهو في باب حِفْظ العقل من الانحراف والزَّيْغ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾[٣٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾[٣٤٧].

وبناءً على ما تمَّ استقراؤه من الآيات والأحاديث، ومن خلال عَرْض الآفاق الواسعة للتَطَوُّع، وبيان المجالات المتعدِّدة التي يدْخل فيها، تُظهِر الدِّراسة أنَّه يمكن أنْ تُفتَح أمام عقْل الصَّغير وقلبه أبواب المشاركة في هذا الخير العظيم، واستحسان الدّخول من أيّها شاء، بحسب طاقته وقدرته وميوله، ويترسَّخ في ذِهْنه أنَّها عبادةٌ مشروعةٌ يتعبَّد الله بها، ويتقرَّب إليه من خلالها، متدَبّراً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[٣٤٨]. فبناء الطُّفولة بناءً صحيحاً وتأسيسه على مفهوم تحرّي مشروعية ما يقوم به من أعمال تعبُّدية، يُرسِّخ في نفسه أنَّه موجودٌ لتحقيق العبودية لله وَفْق ما شَرَع الله، وهذا يُسْهم في تكوين أساسٍ إيمانيٍ متينٍ لديه يصْعُب زَلْزَلته في قادِم الأيَّام حين يخوض مُعْتَرَك الحياة، ويتعرَّض لما فيها من فِتَنٍ ومُغْرياتٍ، وهذه كِفاية أخرى من الكِفايات العرفانية المختصَّة بالمفاهيم والمعتقدات ينْبغي على المربّي الاهتمام بتَوْجيه العناية بها، وغرْسها في وجدان الصَّغير وعقله.

---

[٣٤٥] القرآن. البقرة ٢:٢٤٥.

[٣٤٦] القرآن. البقرة ٢:١٧٤.

[٣٤٧] القرآن. هود ١١:١١٦.

[٣٤٨] القرآن. الأنعام ٦:١٦٢.

- تقْييد التَّطَوُّع بلفْظ "خيرٍ" كما جاء في نصِّ آيَتَيْ سورة البقرة المعيَّنَتيْن آنِفا[٣٤٩] يُشير إلى أنَّ التَّطَوُّع قد يَتعدَّى إلى القيام بأفْعال في غَيْر أبواب الخير، وأشار العَلَّامة السَّعدي رحمه الله تعالى إلى ذلك المعنى مُوَضِّحاً: "دلّ تقْييد التَّطَوُّع بالخير، أنَّ مَن تطوَّع بالبِدَع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنَّه لا يحْصل له إلّا العناء، وليس بخيرٍ له، بل قد يكون شرّاً له إنْ كان مُتعمِّداً عالِماً بعدم مشروعيَّة العمل"[٣٥٠]. كما بَيَّن رحمه الله تعالى في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾[٣٥١] أنَّ المؤمن مأمورٌ بفِعْل الخير عموماً، حيث عَلَّق سبحانه وتعالى حصول الفلاح للمؤمن على الإخلاص في العبادة، وعلى السَّعْي في وجوه الخير المختلفة لنَفْع العباد[٣٥٢]. ولفْظ "خير" يُطْلَق على ما يُجيزه الشَّرْع من نفْعٍ مسْتَحْسَنٍ[٣٥٣]، وقد يُقابَل به الشَّرُّ مرةً نَحْوَ قوله تعالى: ﴿.. لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ .. ١١﴾[٣٥٤]، أو يُقابَل به الضُّرُّ مرةً[٣٥٥]، نَحْوَ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾[٣٥٦]. وقد يُراد به المال كما في قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ..١٨٠﴾[٣٥٧]. وجاء في كتاب تفسير التَّحرير والتَّنوير: " وَقَوْلُهُ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ أَمْرٌ بِإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إِلَى النَّاس مِنَ الزَّكَاة، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ كَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ

---

[٣٤٩] انظر ص. ١٠٤ من هذه الدِّراسة.

[٣٥٠] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٧٦.

[٣٥١] القرآن. الحَجّ ٢٢:٧٧.

[٣٥٢] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٥٤٦.

[٣٥٣] جبل. ٢٠١٢م. *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العَلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)*. المجلد الأوَّل. ص. ٥٤٨-٥٤٩.

[٣٥٤] القرآن. النور ٢٤:١١.

[٣٥٥] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد. ١٤١٢ هـ. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق: دار القم. ج. ١. ص. ٣٠١.

[٣٥٦] القرآن. الأنعام ٦:١٧.

[٣٥٧] القرآن. البقرة. ٢:١٨٠.

الْمُنْكَرِ، وَسَائِرِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ"[٣٥٨]، ممّا يُشير إلى وقوع حُكْم فِعْل الخير بين الوجوب والاستحباب[٣٥٩]، وهذا الأخير مظلَّة العمل التَّطَوُّعيّ. يؤكِّد ذلك ما ورَد في تفسير قوله تعالى: ﴿.. فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ .. ﴿١٤٨﴾﴾[٣٦٠] من أنَّ الخيرات تَعني عموم الخير، فهي تشمل جميع الفرائض والنَّوافل، والنَّفْع المتَعَدِّي والقاصِر[٣٦١]، قال تعالى: ﴿.. وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ .. ﴿٢٠﴾﴾[٣٦٢]، فهذه أعمال خيرٍ وطاعاتٍ ينْتَفِع بها العبد، وينْفَع بها غيره، ويتقرَّب بها إلى الله عزَّ وجلَّ، وسيَدَّخِر الله سبحانه وتعالى لمؤدِّيها أجْراً عظيماً مهما كان مِقْدار هذا النَّفْع ضئيلاً، لأنَّ العبد محاسَبٌ على مثقال ذرَّةٍ من العمل لقَوْل الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[٣٦٣]. وقوْله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٣٦٤].

فحَرِيٌّ بالمؤمن أنْ يحذَر في أقواله وأفْعاله في كلِّ شأنٍ من شؤون حياته حتَّى لا يكون ممَّن يبْتَدِع في دين الله ظانّاً أنَّه يعمل خيراً أو معروفاً، وقد حَذَر النَّبيّ ﷺ من البِدَع بقوله: "... فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّد، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[٣٦٥]، وفي حديثٍ

---

[٣٥٨] ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ١٧. ص. ٣٤٦

[٣٥٩] مُحَمَّد بن عبد الله العامر. ٢٠١٨. " العمل التَطَوُّعي في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية". *مجلة تَدَبُّر*. المملكة العربية السعودية. د. ن. عدد (٤): ابريل. ص ١٩٧- ٢٤٣.

[٣٦٠] القرآن. البقرة ١٤٨:٢.

[٣٦١] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٧٢. ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ٢. ص. ٤٣.

[٣٦٢] القرآن. المزمل ٢٠:٧٣.

[٣٦٣] القرآن. الزلزلة ٩٩: ٧-٨.

[٣٦٤] القرآن. الأنبياء ٤٧:٢١.

[٣٦٥] مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. كتاب الجمعة. باب تخفيف الصَّلاة والخطبة. ج. ٢: ٥٩٢. رقم الحديث ٨٦٧.

آخر قال ﷺ: " إنّ الله حَجَبَ التَّوْبةَ عن كلِّ صاحِبِ بدْعةٍ حتَّى يَدعَ بِدعَتَهُ"[٣٦٦]، وقال أيضاً ﷺ: " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فيه فَهُوَ رَدٌّ"[٣٦٧]، وفي روايةٍ : " مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"[٣٦٨]، وشرَح مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي معنى "ردٌّ" بقوله: "مردودٌ، فهو باطلٌ غير معتدٍّ به، وأنَّ هذا الحديث قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعد الإسلام، وهو من جوامِع كلِمِه ﷺ، فإنَّه صريحٌ في ردِّ كلِّ البِدَع والمخترَعات"[٣٦٩]، وذَكَر أنَّ في الرِّواية الأخرى: "تصريحٌ بردّ كلّ المحدَثات سواء أحْدَثها الفاعِل أو سُبِق بإحْداثِها، وهذا الحديث ممّا ينْبَغي حِفْظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به"[٣٧٠]. فمَن تَطوَّع في غير ما شرَع الله سبحانه وتعالى فقد ضَلَّ السَّبيل، وخالَف المقْصِد الأعظم للدِّين وهو التعَبُّد لله عزَّ وجلَّ وَفْق ما شَرَع، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[٣٧١]، أي مخلِصين له العبادة[٣٧٢].

والتَّطَوُّع في غير خيرٍ ليس من العبادة في شيءٍ، وهو تضييعٌ لمقاصد الدِّين والشَّرائع السَّماويَّة التي جاءت لتأمين مصالِح العباد، " فالشَّرائع كلّها – وبخاصَّةٍ شريعة الإسلام– جاءت لما فيه صلاح البشر في العاجل والآجل، أيْ في حاضر الأمور وعواقبها، وليس المراد بالآجِل أمور الآخِرة؛ لأنَّ الشَّرائع لا تُحدِّد للنَّاس سَيْرهم في الآخِرة، ولكنَّ الآخِرة جعَلَها الله جزاءً على الأحوال التي كانوا

---

[٣٦٦] الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين. ٢٠٠٠ م. *صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ*. الرياض: مكتَبة المعارف لِلنَشْرِ والتوزيع. باب الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع. ج. ١: ١٣٠. رقم الحديث ٥٤.

[٣٦٧] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الصلح. بَابٌ: إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ. ج. ٣:١٨٤. رقم الحديث ٢٦٩٧.

[٣٦٨] مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. كتاب الأقضية. بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ. ج. ٣:١٣٤٣. رقم الحديث ١٧١٨.

[٣٦٩] المصدر نفسه.

[٣٧٠] المصدر نفسه.

[٣٧١] القرآن. البينة ٥:٩٨

[٣٧٢] القرطبي. ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤ م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٢٠. ص. ١٤٤.

عليها في الدُّنْيا"[٣٧٣]. ودين الإسلام دلّ على كلِّ ما فيه مصْلحة للعباد، ونهى عن كلِّ ما فيه مفسَدةٌ، إذ: "يُعَبَّرُ عَنْ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالنَّفْع وَالضَّرِّ، وَالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ؛ لِأَنَّ الْمَصَالِحَ كُلَّهَا خُيُورٌ نَافِعَاتٌ حَسَنَاتٌ، وَالْمَفَاسِدَ بِأَسْرِهَا شُرُورٌ مُضِرَّاتٌ سَيِّئَاتٌ، وَقَدْ غَلَبَ فِي الْقُرْآنِ اسْتِعْمَالُ الْحَسَنَاتِ فِي الْمَصَالِحِ، وَالسَّيِّئَاتِ فِي الْمَفَاسِدِ"[٣٧٤]. فمَن طوّعَت له نفْسه وزيّنت له إتيان أمْرٍ ما تَطوُّعاً في غير خيرٍ شَرَعه الدِّين، كان تطوُّعه وبالاً عليه في الدُّنْيا والآخِرة. وليتَّعِظ المبتدِعَة بهذا المشهد الذي يصِف فيه النَّبيّ ﷺ حال أقوامٍ من أمَّته يأتون يوم القيامة ثمَّ يُحال بينهم وبين الاقتراب منه بُغْية الشُّرْب من يده الشَّريفة، وذلك بسبب ما أحْدَثوا بعده من بدعةٍ أو فتنةٍ أو معصيةٍ، قال ﷺ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ "[٣٧٥].

وتؤكّد الدِّراسة أنَّه ينْبغي للمربّي الحاذِق الحرْص على غرْبلة مفهوم كلمة الخير حين يطرَح قيمة التَّطوُّع كأحَد القِيَم الأساسيَّة التي يُؤسِّس لها في شَخصِيَّة الصَّغير لتَسْقط عنها شائبة كلّ بدعةٍ وكلّ ضلالةٍ، ويؤكِّد على ضرورة وجود المرْجعيَّة الشَّرْعيَّة للحُكْم على العمل قولاً كان أو فِعلاً من خلال البحث والسُّؤال، واتِّخاذ القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة مصدرَيْن أساسَيْن للتَّشريع والاتِّباع، وفي هذا استثارةٌ وتنميةٌ للذَّكاء اللُّغوي، والذَّكاء الاجتماعي، والذَّكاء المعْرفي لدى الصَّغير ممّا يعينه على اكتساب مهاراتٍ جديدةٍ تُسْهِم في حمايته من الضَّياع وسط الانفجار المعرفي الهائل الذي تقدِّمه التِّكنولوجيا في هذا العصر.

---

[٣٧٣] ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر. ٢٠١١م. *مقاصد الشَّريعة الإسلامية*. تقديم حاتم بوسمة. مصر: مكتبة الاسكندرية. ص. ١٦.

[٣٧٤] ابن عبد السَّلام، أبو مُحَمَّد عز الدين عبد العزيز الملقب بسلطان العلماء. ١٩٩١ م. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*. راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. ج.١. ص. ٥.

[٣٧٥] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. بابٌ في الحوض. ج. ٨:١١٩. رقم الحديث ٦٥٧٦.

- يَتحقَّق معنى التَّطَوُّع حين تكون النِّيَّة حاضرةً، والقصْد واضحاً، فإنْ كان التَّطَوُّع في خيرٍ فهو عبادةٌ، وشرْطٌ من شروط صحَّة العبادة أنْ تسْبقها نيَّةٌ، فبالنِّيات تتَمَيَّز العبادات عن العادات[٣٧٦]، ويكون جليّاً ما أُريد به وَجْه الله تعالى والتَّقرُّب إليه ممّا هو مُؤدىً لإصابة غرَضٍ دنيويٍّ كجَلْب مصلحةٍ أو دفْع ضَررٍ، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[٣٧٧]. وجاء في أحَد وجوه التَّفسير أنَّ فِعْل الإطعام هذا إنَّما كان ابتغاء رضوان الله، وما تكَلَّم به أصحابه، ولكنَّ الله عَلِمه منهم فأثْنى عليهم[٣٧٨]، فلَمْ ينتظروا ثناءً ولا جزاءً من أحَدٍ سِوى الله عزَّ وجلَّ، فنِيَّتهم خالِصةٌ له سبحانه وتعالى، وإلاّ فأيّ جزاءٍ أو مكافأةٍ تُرْجى من مِثْل هذه الفئات الثّلاثة المغلوبة على أمْرها، حيث ضَعْف الحال، وافتقار المال، وقَيْد الأغلال![٣٧٩]. وفي قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾[٣٨٠] ما يؤَكِّد ضرورة استحضار النِّيَّة لأنَّ فيها أمْراً بإخلاص العبادة والطَّاعة والدِّين لله، ومعلومٌ أنَّ العبادة تَسْتوجِب النِّيَّة، إذ لا تكون عبادةٌ إلّا بنيَّة[٣٨١].

ويُلاحَظ أنَّ القرآن الكريم لمْ يَستعمل لَفْظ النِّيَّة، وإنَّما عبّر عنها بألفاظٍ أخرى مثل "الإرادة"، و"الابتغاء"[٣٨٢]. فأمَّا "الإرادة" فمثالها قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

---

[٣٧٦] ابن عبد السَّلام. ١٩٩١ م. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*. ج. ١. ص. ٢٠٧.

[٣٧٧] القرآن. الإنسان ٧٦: ٨-٩.

[٣٧٨] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٤. ص. ٦٦٩. ابن كثير. ١٩٩٩م. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٨. ص. ٢٨٩.

[٣٧٩] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٥. ص. ١٣٦٣.

[٣٨٠] القرآن. غافر ٤٠:١٤.

[٣٨١] آل بورنو، مُحَمَّد صدقي بن أحمد بن مُحَمَّد. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. *الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية*. الطبعة الرَّابِعة. بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة العالمية. ص. ١٢٧.

[٣٨٢] ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. ٢٠٠١. *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. ١. ص. ٦٦.

لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٣٨٣]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[٣٨٤]، وجاء في تفسير الإرادة هنا على أنَّها نِيَّة السَّاعي ومقْصدُه، فإنْ أراد السَّاعي بعمله وسَعْيه ثواب الآخِرة أعطاه الله ثواب الدُّنْيا والآخِرة، وإنْ كانت نيَّته في سَعْيه مصالِح الدُّنْيا دون الآخِرة، خسِر الآخِرة، وحصَل له من الدُّنْيا ما قَسَمَه الله له، فهو قد حاز صفقةً خاسرةً بهذه النِّيَّة البائسة[٣٨٥].

وأمَّا "الابتغاء" فمثاله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[٣٨٦]، أيْ أنَّ هذا المنْفِق ما أنْفَق مالَه مُلْتمِساً ثواباً من أحَدٍ سوى الله عزَّ وجلَّ[٣٨٧]، وليس في مراده سِوى أنْ يكون زاكياً بلا رياءٍ ولا سُمْعةٍ[٣٨٨]، فنِيَّته خالِصةٌ لله. قال الفضيل بن عياض في قول الله تعالى: ﴿.. لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ .. ﴿٢﴾﴾[٣٨٩]، أيْ " أخْلَصَه وأصْوَبه، قَالُوا يَا أَبَا عَليّ مَا أخْلَصَه وأصْوَبَه؟ قَالَ: إِنَّ الْعَمَل إِذا كَانَ خَالِصاً وَلم يكن صَوَاباً لم يُقْبَل، وَإِذا كَانَ صَوَاباً وَلم يكن خَالِصاً لم يُقْبَل حتَّى يكون خَالِصاً صَوَاباً، والخالِص أَنْ يكون لله، وَالصَّوَاب أَنْ يكون على السُّنَّة"[٣٩٠].

فالنِّيَّة الخالِصة لله تعالى هي التي تجعل العمل من الدِّين الذي يتقَرَّب به العبد إلى ربِّه عزَّ وجلَّ راجياً منه القبول والفوز بالرِّضوان. واستدلَّ الإمام الرازي بقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

---

[٣٨٣] القرآن. الروم ٣٠:٣٨.

[٣٨٤] القرآن. الشورى ٤٢:٢٠.

[٣٨٥] ابن كثير. ١٩٩٩م. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٧. ص. ١٩٨. الشوكاني. ١٤١٤ هـ. *فتح القدير*. ج. ٤. ص. ٦١٠. السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٧٥٦.

[٣٨٦] القرآن. الليل ٩٢:١٨-٢٠.

[٣٨٧] الطبري. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ٢٤. ص. ٤٨٠.

[٣٨٨] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*-إحياء التراث. ج. ٥. ص. ٢٦٤.

[٣٨٩] القرآن. الملك ٦٧:٢.

[٣٩٠] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد. ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م. *جامع الرسائل*. تحقيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم. الرياض: دار العَطاء. ج. ٢. ص. ٢٢٦.

رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾[٣٩١] على" أَنَّهُ لَا يَكْفِي فِي الْعِبَادَاتِ أَنْ يُؤْتَى بِهَا كَيْفَ كَانَتْ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُؤْتَى بِهَا مَعَ تَمَامِ الْإِخْلَاصِ، وَهَذَا مِنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّ شَرْطَ صِحَّةِ الصَّلاة أَنْ يُؤْتَى بِهَا مَقْرُونَةً بِالْإِخْلَاصِ"[٣٩٢]، وكلُّ عملٍ يقوم به المسلم من صلاةٍ ونُسُكٍ وعبادةٍ، وما يأتيه في حياته من الأعمال، وما يموت عليه من الإيمان والعمل الصَّالح من الوصيَّة بالصَّدقات، وأنواع القُرُبات تكون نيَّتُه فيه خالِصةً لله وليس لأحدٍ سِواه[٣٩٣]. وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾[٣٩٤] ما يُشير إلى الأمْر بإخلاص العبادة[٣٩٥]، فتكون خالِصةً عن شوائب الشِّرْك، ما كان منه جَلِيّاً أو خَفِيّاً[٣٩٦]، وكيف يتحقّق الإخلاص بدون استحضار النِّيَّة في القلب[٣٩٧]! ولذلك قيل: إنَّ " الإخلاص لا يُفْسِده شيطان ولا يَطَّلِع عليه الملَكان"[٣٩٨].

والآيات الدَّالَّة على أهمِيَّة استحضار النِّيَّة عند القيام بأيِّ عملٍ كثيرةٌ، ويمكن الرجوع إليها في مظانِّها. وورَد في السُّنَّة النَّبوِيَّة المطَهَّرَة حديثٌ شريفٌ عظيمٌ عن أهمِيَّة استحضار النِّيَّة قبل القيام بالأعمال، وهو قوْل النَّبيّ ﷺ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..."[٣٩٩]، قال العُلماء يدخل في هذا الحديث ثُلُثا العِلم[٤٠٠]، وقال أبو داود رضي الله عنه: "إنَّه نِصْف الإسلام، لأنَّ الدِّين: إمّا ظاهرٌ، وهو

---

[٣٩١] القرآن. الأنعام ٦:١٦٢.

[٣٩٢] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٤. ص. ١٩١.

[٣٩٣] الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ١٠. ص. ٤٦. الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٨٤. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج.٢. ص. ٢١٠.

[٣٩٤] القرآن. الزمر ٣٩:١١.

[٣٩٥] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج.٤. ص. ١١٩.

[٣٩٦] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٢٦. ص. ٤٣٢.

[٣٩٧] القرطبي.١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٢٠. ص. ١٤٤.

[٣٩٨] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. د. ت. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. تحقيق: إبراهيم البسيوني. الطبعة الثَّالِثة. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج. ٣. ص. ٢٧٣.

[٣٩٩] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ج. ١:٦. رقم الحديث ١.

[٤٠٠] ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح مُحَمَّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري. د.ت. *إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام*. د.م: مطبعة السنة المحَمَّدية. ج. ١. ص. ٦١

العمل، أو باطنٌ، وهو النِّيَّة"[٤٠١]، وقال الشافعي رضي الله عنه: "إنَّه ثُلُثُه، لأنَّ كسْب العبد إمَّا بقلْبه، أو بلسانه، أو بجوارحه، والنِّيَّة أحدهما"[٤٠٢]. والأعمال تشمل الأفْعال والأقوال[٤٠٣]، وتُطلَق على الجوارح والقلوب، "فيقُال أعمال القلوب وأعمال الجوارح"[٤٠٤]. وقيل في شرْح الحديث: " أيْ صِحَّة ما يقع من المكَلَّف من قَولٍ أو فِعلٍ، أو كماله وترتيب الثَّواب عليه لا يكون إلّا بحسَب ما ينويه"[٤٠٥]. وقال ابن رجبٍ الحنبليّ رحمه الله تعالى: " فإنَّ الجملة الأوْلى — إنَّما الأعمال بالنِّيّات– دلَّت على أنَّ صلاح العمل وفساده بحسب النِّيَّة المقتضِيَة لإيجاده، والجملة الثَّانية — وإنَّما لكلِّ امْرئٍ ما نوى– دلَّت على أنَّ ثواب العامِل على عمله بحسب نِيَّته الصَّالِحة، وأنَّ عِقابه عليه بحسب نِيَّته الفاسدة، وقد تكون نِيَّته مباحةً، فيكون العمل مباحاً، فلا يحصل له ثوابٌ ولا عقابٌ، فالعمل في نفْسه صَلاحه، وفساده، وإباحته بحسب النِّيَّة الحاملة عليه، المقتضية لوجوده، وثواب العامِل، وعقابه، وسلامته بحسب النِّيَّة التي بها صار العمل صالِحاً، أو فاسداً، أو مباحاً"[٤٠٦].

وكان السَّلَف "يَستحِبُّون افتتاح الكُتُب بهذا الحديث؛ تنْبيهاً للطَّالِب على تصحيح النِّيَّة وإرادته وجْه الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفيَّة"[٤٠٧]. ونَصّ علماء أصول الفقه على أنَّ الأمور بمقاصدها، وأنَّه لا

---

[٤٠١] ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح مُحَمَّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري. ٢٠٠٣م. *شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النَّبويَّة*. الطبعة السادسة. د.م.: مؤسسة الريان. ص. ٢٢.

[٤٠٢] المصدر نفسه.

[٤٠٣] ابن دقيق العيد. د.ت. *إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام*. ج. ١. ص. ٦١. ابن العطار، علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سُلَيمان، أبو الحسن، علاء الدين. ٢٠٠٦م. *العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام*. لبنان– بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. ج. ١. ص. ٤٧.

[٤٠٤] ابن العطار. ٢٠٠٦م. *العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام*. ج. ١. ص. ٤٧.

[٤٠٥] البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري الجعفي. ١٤١٤هـ. *صحيح البخاري*. تحقيق: مصطفى ديب البغا. الطبعة الخامسة. دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة. باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ج. ١:٣.

[٤٠٦] ابن رجب الحنبلي. ٢٠٠١. *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم*. ج.١. ص. ٦٥.

[٤٠٧] البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد. ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م. *فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله*. المملكة العربية السعودية: دار ابن القيم. ص.٩.

ثواب إلّا بِنيّة[٤٠٨]، أيْ بقَصْد وعزْم القلب على فِعْل أمْرٍ ما. وقالوا: إنَّ لفْظ "إنَّما" يُفيد الحصْر، وأنَّ العمل يُثاب عليه بالنِّيَّة[٤٠٩].

وبَيَّن النَّبيّ ﷺ في حديثٍ آخَر أهمِيَّة قصْد الطَّاعة ورَجاء احتساب الثَّواب عند الله عزَّ وجلَّ، حيث قال: " إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امرأتك"[٤١٠]، فإنَّ كلّ ما أُريد به وجْه الله تعالى يثْبت به الأجْر لفاعِله وإنْ تَحصّل له به فائدةٌ أخرى. وجاء عن أنسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدَنا من المدينة، فقال: "إنَّ بالمدينة أقواماً، ما سِرْتم مَسيراً، ولا قَطَعْتم وادياً إلَّا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهُم بالمدينة؟ قال: «وهُم بالمدينة، حبَسَهم العُذْر"[٤١١]، فقد كانت نيَّة هؤلاءِ الصَّحابة الكرام أنْ يكونوا في الغزو مع النَّبيّ ﷺ إلَّا أنَّ عُذْرهم حَبَسهم، ولكنَّ هذا لم يمنع ثواب الله لهم، فمدار قَبول العمل مرهونٌ بنيَّة صاحِبه.

وقد ذَكَر العُلماء: " أنَّه لا يَحْسُن بالمكَلَّف أنْ يمْتثل الحُكْم الشَّرعي ومقصوده بامتثاله الحصول على المنفعة الدنيويَّة فقط، بل ينبغي أنْ يكون مقصوده وجْه الله والدّار الآخِرة حتَّى يُثاب على ذلك، أمَّا إذا قَصَد المكلَّف بفِعْله المنافع الدنيويَّة فقط، فحينئذٍ لا يستحقّ عليه الأجْر الأخروي، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[٤١٢]"[٤١٣]، فدَفْعُ المال مثلاً قد يؤدِّيه العبد

---

[٤٠٨] الزحيلي، مُحَمَّد مصطفى. ٢٠٠٦م. *القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة*. دمشق: دار الفكر. ج. ١. ص. ٦٣.

[٤٠٩] ابن العطار. ٢٠٠٦م. *العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام*. ج. ٣. ص. ١٢٢٩.

[٤١٠] البخاري. ١٤١٤هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الإيمان. باب ما جاء أن الأعمال بالنِّيَّة الحسنة ولكل امرئ ما نوى. ج. ١:٣٠. رقم الحديث ٥٦.

[٤١١] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. باب نزول النَّبيّ ﷺ الحجر. ج.٦: ٨. رقم الحديث ٤٤٢٣.

[٤١٢] القرآن. هود ١١:١٥-١٦.

[٤١٣] الشثري، سعد بن ناصر بن عبد العزيز. ٢٠١١. *القواعد الأصولية والفقهية المتعلقة بالمسلم غير المجتهد*. الطبعة الثَّانية. المملكة العربية السعودية: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع. ص. ١٤.

زَكاةً واجبةً، أو نَذْراً، أو كَفَّارةً، وهذه كلّها عباداتٌ يؤدِّيها العبد بنيَّة الامتثال لأمْر الله، وإسقاط الفرْض أو الواجب. وقد يؤدِّيه هِبةً أو صدقةً غير واجبةٍ، أو هديَّةً يرْفع بها حرَجاً عن محتاجٍ، أو يفكّ بها ضائقةً عن مكروبٍ، وهذه أيضاً تُعدُّ من قبيل العبادات والطَّاعات وتحقيق الخير إنْ كانت بنِيَّة التَّزلُّف لله عزَّ وجلَّ، والرَّغبة في رضوانه، وقد يتحقَّق له منها منفَعةٌ أخرى لكنَّها لمْ تكن هي القصْد والغاية، على خِلاف ما لَو أدّاها ونيَّته التقرّب بها من شخص ما، إمّا طمعاً في نواله، أو دفْعاً لضرره، فهي حينئذٍ قد خرجت من نطاق العبادة إلى عُرف العادة التي حدَّدتها نيَّة صاحبها. كذلك مسألة إكرام الضَّيْف، فهي عبادةٌ إنْ أدّاها المرْء امتثالاً لقوْل النَّبيّ ﷺ: "... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ.."[٤١٤]، وقد تكون عادةً إنْ لم تكن له بها نيَّةٌ واضحةٌ، أو نوى بها تحصيل غرَضٍ دنيويٍ، كأنْ يكون إكرامه لأجْل الإكرام، أو لأجْل الصِّيت والسُمْعة، أو ما شابه ذلك ممَّا يجْلب له نفْعاً أو يدْفع عنه شرّاً.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ ارتباط العمل التَّطوُّعيّ بالإيمان بالله، والرَّغبة في الحصول على رضاه تمدُّ المسلم بطاقةٍ روحيَّةٍ إيجابيَّةٍ تكون دافعاً له، وحافزاً للعمل بجدٍ واجتهادٍ، وحبٍّ للعَطاء لا محدود، لأنَّه سيجد حلاوة الإيمان في قلبه، ألَمْ يبَشِّر النَّبيّ ﷺ بهذا الحديث: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"[٤١٥]، هذه الخصال التي على رأْسها محبَّة الله ورسوله تقوده إلى اتِّباع الحقِّ، والرِّضا بأقْدار الله، وتحرِّي ما يحبُّه الله ورسوله ليكون أحبَّ إليه مما تهْوى نفسه، والله ورسوله ﷺ يحبَّان الإحسان والطَّاعات والنَّوافل بعد أداء الواجبات، ولا شكَّ أنَّ التَّطوُّع في الخير هو من أفضل نوافل الخير، وقد فَصَّل ابن رجبٍ

---

[٤١٤] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الأدب. بَابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ. ج. ٨:١١. رقم الحديث ٦٠١٨. مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ. ج.١:٦٨. رقم الحديث ٤٧.

[٤١٥] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الإيمان. بَابُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ. ج. ١:١٢. رقم الحديث ١٦.

رحمه الله في شرْح الحديث فبَيَّن أنَّ محبَّة الله تقعُ على درجَتَيْن: الأوْلى فرضٌ وتكون في اتباع أوامره وترْك معصيته، والثَّانية: فَضْلٌ مستحَبٌ، فيتقرَّب المسلم بالنَّوافل والطَّاعات[٤١٦]. وذكَرَ أنَّ محبَّة الرَّسول ﷺ على قِسْمَيْن: فرْضٌ: باتِّباع ما جاء به ﷺ، وفَضْلٌ مندوبٌ إليه: وهي درجةٌ أرْفع وأرْقى، فيَقتدي المسلم بسُنَّة المصطفى وآدابه وأخلاقه وسَمْته[٤١٧]، فإذا فَعل صار قلبه محِبّاً للآخرين بحبِّه لله ولرسوله ﷺ، وليس لمصلحةٍ دنيوية، لأنَّ الحبَّ في الله كما يقول العُلماء من أصول الإيمان وأعلى درجاته[٤١٨]. وإذا تعارضت محبَّته للعباد مع محبَّته لله ولرسوله ﷺ، آثَر محبَّة الله ورسوله ﷺ واتِّباعهما على كلِّ محبَّةٍ، ولذا تقدَّمت محبَّتهما في صَدْر الحديث، ولأجْل هذه المحبَّة يَتحمَّل الصِّعاب، فيُقْدِم ولا يهاب، ويسْتَحِثّ كلّ طاقاته ليبْحث في الوسائل والأسباب كي يسْتَحْدِث مجالاتٍ جديدةً، ويفْتح أبواباً عديدةً لأجْل تقديم المنْفعة للآخَرين حُبّاً لله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ.

وتُبْرِز الدِّراسة أنَّ هذه كِفاية جديدةٌ من الكِفايات المفاهيمية، على المرِبّي أنْ يُتْقِن شرْحها وتوْضيحها للصَّغير حتَّى يكون القَصْد لدَيه واضحاً حين يتَقدَّم للانخراط في أيِّ عملٍ، وبوَجْهٍ خاصٍّ العمل التَّطَوُّعيّ، فليست الغاية كَسْب ثناء النَّاس وتقديرهم وإكرامهم له، وليس الهدف تحصيل مكافأةٍ من أيِّ نوْعٍ كانت، إنَّما الغاية الأسْمى، والهدف الأغلى هو نَيْل محبَّة الله ورضوانه، والإعانة على نفْع خلْقه، ومتى ما تعَلَّق قلب الصَّغير بهذا المفهوم كان أبْعَد ما يكون عن الرِّياء، وعن النِّفاق فيما يقوم به من عملٍ، لأنَّه عرف أنَّ الله مُطَّلِعٌ على ما يضْمره قلْبه، ويعلَم حقيقة قصْده، وهذا يدْفَعه لأنْ يتْقِن عمَلَه، ويخْلِص فيه راجياً أنْ يُقبَل منه، فلا يكون من أهل المشهد الذين وصَفَهم النَّبيّ ﷺ في الحديث بقوْله: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاس يُقْضَى يَوْمَ

---

[٤١٦] ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت المرسي، مُحَمَّد بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي. المدينة النَّبوِيَّة: مكتبة الغرباء الأثرية. ج. ١. ص. ٥٢.

[٤١٧] المصدر نفسه. ص. ٥٣.

[٤١٨] المصدر نفسه. ص. ٥٤.

الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[٤١٩]. فاذا أدْرَك المتربّي الصَّغير ذلك كان أحْرَص على ألَّا يقف يوم القيامة هذا الموقف الصَّعْب.

٣،٢،٢ آياتٌ قُرآنيَّةٌ تُفيد معنى التَّطَوُّع

كثيرةٌ هي آيات القرآن الكريم التي تحثّ المسلم على التَّطَوُّع في وجوه الخير المختلفة، مُعبّرةً عنه بألفاظٍ متعدّدةٍ مثل: فِعْل الخير، والإحسان، والبِرّ، والمسارعة في الخيرات، والهِبة والصَّدَقة، والقرْض الحَسَن، والإنفاق في سبيل الله، وغيرها، وداعيةً إليه بأساليب مختلفةٍ تنوَّعت بين أمْرٍ بالفِعْل، وحَضٍّ عليه، وترغيبٍ في ثوابه، وبيانٍ لآثارٍ سلبيَّةٍ، وعواقب وخيمةٍ تنتج عن غيابه أو انحساره. ويُعتبَر التَّطَوُّع في الخير صورةً معبّرةً عن شُكْر المنعم سبحانه وتعالى على نِعَمه، ووسيلةً للتَّقرُّب إليه، وسبباً لاستجلاب مزيدٍ من النِّعم، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[٤٢٠]، فالاستعانة

---

[٤١٩] أخرجه مسلم. د.ت. صحيح *مسلم*. كتاب الإمارة. بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ. ج. ٣: ١٥١٣. رقم الحديث ١٩٠٥.

[٤٢٠] القرآن. إبراهيم ١٤: ٧

بنِعَم الله على طاعته فيما أمَر به، وفيما نهى عنه هو شُكرٌ يُفْضي إلى مزيدٍ[٤٢١]، وتعطيلها أو الاستعانة بها في معصيته فذاك كُفْرٌ يستوجب زوال النِّعْمة[٤٢٢]، والعذاب الشَّديد[٤٢٣]، وَلِهَذَا قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَطاء اللَّهِ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ فَقَدْ تَعْرَّضَ لِزَوَالِهَا، وَمَنْ شَكَرَهَا فَقَدْ قَيَّدَهَا بِعِقَالِهَا"[٤٢٤].

وفيما يأتي عرْضٌ لبعض آيات القرآن الكريم الدَّالة على التَّطَوُّع، والموجِّهة إليه بأساليب متنوعةٍ:

- من الآيات ما تحْمِل تَوْجيهاً مباشراً بصيغة الأمْر مثل قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[٤٢٥]، وقد ورَد في التفسير أنَّ قوله تعالى (واعبدوا ربكم وافعلوا الخير) هو أمْرٌ بفِعْل جميع أنواع العبادة التي أمَر الله بها، وأمْرٌ بفِعْل كلّ ما هو خير، فيشمل ما هو أعَمّ من الطَّاعة الواجبة والمندوبة كصِلَة الأرحام، والأمْر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وكلّ ما يُعدّ من مكارم الأخلاق، وعلَّة ذلك الأمْر رجاءُ الفلاح[٤٢٦]. كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[٤٢٧]، فوَجَّهَت الآية الكريمة المسلمين إلى الإنفاق في سبيل الله، ويأتي في مقدِّمته الإنفاق في الجهاد[٤٢٨]، وفي الطَّاعات، وأمَرَت بإحْسانٍ في الإنفاق، وإحْسان الظّن بالله فيما سيُخْلفه عليهم[٤٢٩]، والأمْر بالإحسان جاء عامّاً غير مقيّدٍ بشَيءٍ[٤٣٠]، فهو يشمل كلّ طريقٍ موصلٍ إلى الله عزَّ وجلَّ من أعمالٍ

---

[٤٢١] القرطبي. ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج.٩. ص. ٣٤٣.

[٤٢٢] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٤٢٢.

[٤٢٣] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٥٤١.

[٤٢٤] ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ٢٩. ص. ٣٠٥.

[٤٢٥] القرآن. الحَجّ ٢٢: ٧٧.

[٤٢٦] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٧. ص. ٣٤٦. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٣. ص. ٥٥٦.

[٤٢٧] القرآن. البقرة ٢: ١٩٥.

[٤٢٨] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٩٠. الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١. ص. ٢١٧.

[٤٢٩] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٢. ص. ٣٦٥. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٢٢٢.

[٤٣٠] السَّعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٩٠.

وأخلاقٍ، فيَدْخل فيه الإحسان في عبادة الله، والإحسان في قضاء حوائج النَّاس، والإحسان في الأمْر بالمعروف والنَّهي عن المنْكَر، والإحسان في تعْليم العِلم النَّافع، حتَّى أنَّه يشمل الإحسان في الأمْر اليَسير مثل رَدِّ التَّحيَّة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾[٤٣١]، فالتَّحيَّة دعاءٌ بالبقاء والسَّلامة من الآفات[٤٣٢]، فمَن دعا لكم فادعوا له بأحسن ممّا دعا، وهذا هو التَوْجيه الأوَّل، وهو الأكْمل والأفْضل، أو رُدّوا عليه بمثْل ما دعا لكم، وذكَر العلماء أنَّ الابتدار بالسَّلام سُنَّةٌ، والرَّدّ عليها قيل أنَّه فرْضٌ، وقيل أنَّه واجبٌ[٤٣٣]، وجاء التَّفصيل في كُتُبهم عن آداب التَّحيَّة وإلقاء السَّلام، وممَّا ذَكَروا: "ويُسَلِّم الرَّجل إذا دخَل على امرأته، ولا يُسَلِّم على أجْنبيَّة، ويُسَلِّم الماشي على القاعد، والرَّاكب على الماشي، وراكِب الفَرَس على راكِب الحمار، والصَّغير على الكبير، والأقَلّ على الأكْثر"[٤٣٤]. كلُّ ذلك الإحسان يفْعله المسلم ابتغاء وجْه الله تعالى لأنَّه سبحانه يحبّ المحسنين[٤٣٥].

ومن الآيات الدَّالة على الأمْر المباشر بالإحسان قوله سبحانه وتعالى: ﴿.. وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ ... ﴿٧٧﴾﴾[٤٣٦]، فكما أنَّ الله أعطاك أيَّها الإنسان، وأحسَن في عطائه، فأحْسِن في عطائك للآخَرين، فهو أمْرٌ بالإحسان مُطلقاً[٤٣٧]، والإنفاق في وجوه الخير لنَفْع عباد الله، وقيل في تفسيره أنَّه أمْرٌ بصِلَة المساكين[٤٣٨]، وقال ابن عاشورٍ رحمه الله تعالى: " فَالْإِحْسَانُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ،

---

[٤٣١] القرآن. النِّساء ٤: ٨٦.

[٤٣٢] الطبري. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ٨. ص. ٨٦. الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٠. ص. ١٦١، ١٦٣.

[٤٣٣] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ١. ص. ٥٤٤.

[٤٣٤] المصدر نفسه.

[٤٣٥] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٩٠.

[٤٣٦] القرآن. القصص ٢٨: ٧٧.

[٤٣٧] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٢٥. ص. ١٣.

[٤٣٨] المصدر نفسه. ج. ١٣. ص ٣١٤.

وَالْإِحْسَانُ لِكُلِّ شَيْءٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ حتَّى الْأَذَى الْمَأْذُونُ فِيهِ فَبِقَدَرِهِ، وَيَكُونُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَحُسْنِ اللِّقَاءِ"[٤٣٩].

وفي الإحسان عَطاء يرْقى بالنَّفْس المؤمنة إلى أعلى الدَّرجات، ويُعبِّر عن الخيريَّة التي في فِطْرتها تصديقاً لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[٤٤٠]. وهو صورةٌ عمليَّةٌ تعْكِس الإيمان الذي يَستقِرُّ في القلوب، والرَّحمة التي تنْضَح بها النُّفوس الطَّيِّبة، فتسْعى بالخير والمحبَّة للآخَرين في عَطاء يتجاوز الجود بالمال كما تَقَدَّم، فالأعمال المتعدِّية النَّفْع هي التي تَرْفع منزلة العبد عند ربِّه.

وتُشير الدِّراسة إلى أنَّه في هذا السياق يمكن فَهْم قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٤٤١]، إذْ أعَدَّ الله سبحانه وتعالى للمحْسنين جزاءً " الحُسْنى" أي الجَنَّة، وزادهم فيها لذَّة النَّظر إلى وَجْهه الكريم وهي معنى "وزيادة"[٤٤٢]، وقيل في تفسير " أَحْسَنُوا " أي أحسَنوا مُعَامَلَةَ النَّاس[٤٤٣]، وأحسَنوا في كلِّ ما تَعَبَّدوا به[٤٤٤]، وذَكَر العَلَّامة السَّعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لتلك الآية: " للذين أحْسَنوا في عبادة الخالِق، بأنْ عَبَدوه على وجْه المراقبة والنَّصيحة في عبوديته، وقاموا بما قَدَروا عليه منها، وأحسَنوا إلى عباد الله بما يقدِرون عليه من الإحسان القوْلي والفِعْلي، من بذْل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمْر بالمعروف، والنَّهي عن المنْكَر، وتعْليم

---

[٤٣٩] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢٠. ص. ١٨٠.

[٤٤٠] القرآن. آل عمران ٣: ١١٠.

[٤٤١] القرآن. يونس ١٠: ٢٦.

[٤٤٢] الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ١٥. ص. ٦٥. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٨. ص. ٣٣٠-٣٣١.

[٤٤٣] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٨. ص. ٣٣١.

[٤٤٤] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٧. ص. ٢٤٠.

الجاهلين، ونصيحة المعْرِضين، وغير ذلك من وجوه البِرِّ والإحسان، فهؤلاء الذين أحْسنوا، لهم "الحسنى" وهي الجَنَّة الكاملة في حُسْنها، و"زيادةٌ" وهي النَّظر إلى وجْه الله الكريم، وسَماع كلامه، والفَوْز برضاه والبهجة بقُرْبه، فبهذا حصَل لهم أعلى ما يتمنَّاه المتَمَنُّون، ويسأله السَّائلون"[٤٤٥]، ومِثْل ذلك ورَد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾[٤٤٦]، فهُم يُحْسِنون في عبادتهم لله وكأنَّهم يَرَوْنه، ويحسنون لعباده بجميع وجوه الإحسان، ثمَّ عدَّد رحمه الله تعالى تلك الوجوه، وذَكَر نفْع الآخَر بالمال، أو العِلم، أو الجاه، أو تقديم النُّصْح، ونَحْوَ ذلك، وخَتَم بقوله: "فالمحسِنون لهم البشارة من الله، بسعادة الدُّنْيا والآخِرة وسيُحْسِن الله إليهم، كما أحسَنوا في عبادته ولعباده"[٤٤٧].

واستناداً إلى ما سَبَق، فإنَّ الدِّراسة تؤكِّد أنَّ باب الإحسان واسعٌ جداً، يستطيع المسلم أنْ يَلِج منه إلى كلِّ زاويةٍ من زوايا حياته، وفي كلِّ شأنٍ من شؤونه، حتَّى لو كان على مستوى حُسْن الظَّن بالآخَر أو التَّبَسّم في وجهه، أو إماطة شَوْكةٍ من طريق العباد، متدبّراً حديث المصطفى ﷺ : " إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..."[٤٤٨]، قال ابن رجبٍ: " وَهَذَا الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ تَارَةً يَكُونُ لِلْوُجُوبِ كَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَرْحَامِ بِمِقْدَارِ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْبِرُّ وَالصِّلَةُ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الضَّيْفِ بِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ بِهِ قِرَاهُ ...، وَتَارَةً يَكُونُ لِلنَّدْبِ كَصَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَنَحْوِهَا. وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، لَكِنَّ إِحْسَانَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، فَالْإِحْسَانُ فِي الْإِتْيَانِ بِالْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ: الْإِتْيَانُ بِهَا عَلَى وَجْهِ

---

[٤٤٥] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٣٦٢.

[٤٤٦] القرآن. الحَجّ ٢٢: ٣٧.

[٤٤٧] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٥٣٨.

[٤٤٨] مسلم. د.ت. صحيح *مسلم*. كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان. بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ. ج. ٣:١٥٤٨. رقم الحديث ١٩٥٥.

كَمَالِ وَاجِبَاتِهَا، فَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْإِحْسَانِ فِيهَا وَاجِبٌ، وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فِيهَا بِإِكْمَالِ مُسْتَحَبَّاتِهَا فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ"[٤٤٩].

كما تُظهِر الدِّراسة أيضاً أنَّه من خلال باب الإحسان الذي تتَعَدَّد ألوانه وأشْكاله تُطرَح كِفاية تَوْجيه الصَّغير له، ليتَحَوَّل إلى ممارسةٍ مهاريَّةٍ تطول كلَّ عمَلٍ يقوم به سواء في عبادته المحْضَة، أو في تفاعله مع الحياة ومَن حَوْله، فالإحسان "قوَّةٌ داخليَّةٌ تتربَّى في كيان المسلم، وتُتَرْجَم إلى مهارةٍ يدويَّةٍ"[٤٥٠] أو محسوسةٍ ليصْطَبِغ عمله بالإتقان.

والإحسان مرْتبةٌ متقَدِّمةٌ في الإيمان الذي يترَتَّب بدَوْره على الإسلام كما جاء في حديث النَّبيّ ﷺ حين أتاه جبريل عليه السَّلام في صورة رَجلٍ، وسأله عن الإسلام والإيمان، والنَّبيّ ﷺ يجيب، حتَّى سأله عن الإحسان: " .... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...."[٤٥١]، وختم حديثه ﷺ بقوله:" فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"[٤٥٢]، فجَعَل الإيمان والإسلام والإحسان كلّها دِين. وذَكَر شُرّاح الحديث في شرْح تعريف الإحسان الذي ورَد في الحديث: " أنَّه حاصِله راجعٌ إلى إتقان العبادات، ومراعاة حقوق الله، ومراقَبَته، واستحضار عظَمَته وجلالته حال العبادات"[٤٥٣]، وقَالَ النَّوَوِيّ: "هَذَا أصْلٌ عَظِيمٌ من أصُول الدّين، وَقَاعِدَةٌ مهمةٌ من قَوَاعِد الْمُسلمين، وَهُوَ عُمْدَة الصِّدِّيقين وبُغية السَّالكين، وكنْز العارفين، ودأب الصَّالحين"[٤٥٤]، وَقَالَ القَاضِي عِيَاض: "قد اشْتَمَل على شرْح جَمِيع

---

[٤٤٩] ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي. ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م. *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. ١. ص. ٣٨١.

[٤٥٠] د. ك. " الإحسان.. مفهوم الجودة الحضّارة". التصفح في: ١٠ أكتوبر ٢٠٢٢ https://bit.ly/٣Eu٢zoQ

[٤٥١] مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ. ج. ١: ٣٦. رقم الحديث (٨).

[٤٥٢] المصدر نفسه.

[٤٥٣] ابن دقيق العيد. ٢٠٠٣م. *شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النَّبوِيَّة*. ص. ٣١.

[٤٥٤] العيني. د. ت. *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. كتاب الإيمان. بَاب سُؤال جِبْرِيلَ النَّبيّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عنِ الإيمانِ والإسْلامِ والإحْسانِ وعِلْمِ السَّاعةِ. ج. ١. ص. ٢٨٨- ٢٨٩.

وظائف الْعِبَادَات الظَّاهِرَة والباطنة من عُقُود الْإِيمَان، وأعْمال الْجَوَارِح، وإخلاص السرائر، وَالْحِفْظ من آفَات الْأَعْمَال حتَّى أَنَّ عُلُوم الشَّريعة كلّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ ومتشَعِّبة مِنْهُ"[٤٥٥]. ولا شكَّ أنَّ الإحسان إلى عباد الله، والتعامل معهم بلُطْف على مستوى القول، وعلى مستوى الفِعْل هو طاعةٌ لله وعبادةٌ، وقد قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[٤٥٦]. فرَتَّب على الأمْر بالتَّوحيد الإحسان إلى الوالدَيْن، ثمَّ تَدَرَّج في ذِكْر بقيَّة الفئات من النَّاس المسْتحقِّين للإحسان، والأمْر بالشَّيء وهو الإحسان هنا، نَهْيٌ عن ضِدِّه وهي الإساءة[٤٥٧]، وجاء بعبارة (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) أي للنَّاس عامَّةً، فلِين الكلام والتلَطُّف فيه، والدَّعوة بالطَّيِّب من القوْل إلى اتِّباع الحقِّ، والأمْر بالمعروف، والنَّهي عن المنْكر، والحِلْم، والعفْو، والصَّفْح، وبذْل السَّلام في بشاشةٍ، وغير ذلك مما يَصْدُق عليه أنَّه حَسَنٌ شرعاً[٤٥٨]، فكلّ محاسِن العادات ومكارم الأخلاق مشْتمِلةٌ في الآية[٤٥٩]. ولأنَّ الإنسان قد يتعَذَّر عليه أنْ يسَع النَّاس بماله وهو الإحسان الفِعلي، توَجَّه الخطاب في الآية إلى نوْعٍ آخَر من الإحسان يكون في مقدَوْر كلّ أحدٍ وهو الإحسان القولي[٤٦٠]، وذلك تأكيداً على أنَّ للكلمة تأثيراً بالِغاً على النُّفوس، فنَفْعُها أو ضَرَرُها يتعَدَّى الناطِق بها ليُؤَثِّر في الآخرين سَلْباً أو إيجاباً، وقدَّم الحديث عنها على أداء العبادات الفرديَّة من صلاةٍ وصيامٍ وزَكاةٍ لأنَّ نفْعها مباشرٌ لمؤدّيها عائدٌ عليه.

---

[٤٥٥] المصدر نفسه. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين.١٩٩٦م. *الديباج على صحيح مسلم بن الحجّاج*. حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري. المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان للنشر والتوزيع. ج. ١. ص. ٨.

[٤٥٦] القرآن. البقرة ٢: ٨٣.

[٤٥٧] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٥٧.

[٤٥٨] ابن كثير. ١٩٩٩م. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ١. ص. ٣١٧. الشوكاني. ١٤١٤ هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ١٢٧..

[٤٥٩] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٣. ص. ٥٨٨.

[٤٦٠] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٥٧. ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ٥٨٣.

وقد أمَر الله سبحانه وتعالى في موْضعٍ آخَر رسوله الكريم ﷺ بأنْ يقول للمؤمنين ليقولوا التي هي أحْسَن، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾[٤٦١] فيُحْسنوا مع كلِّ الخَلْق حتَّى مع مَن خالَفَهم في الاعتقاد وأساء إليهم، وهو يشْمل " كلّ كلامٍ يُقرِّب إلى الله من قراءةٍ وذِكْرٍ، وعِلْمٍ، وأمْرٍ بمعروفٍ، ونهيٍ عن منْكَرٍ، وكلامٍ حَسَنٍ لطيفٍ مع الخَلْق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، .. ومَن مَلَك لسانَه مَلَك جميع أمْره"[٤٦٢]. وقيل المعنى أنْ يقولوا ويفعلوا الخَصْلة التي هي أحْسَن[٤٦٣]، فهذا ما يليق بهم، وقد كَرَّمهم بإضافتهم إليه إضافةَ تشْريفٍ، حيث وصَفَهم ب (عبادي) وهذا مَدْحٌ للمؤمنين وتَشريفٌ لهم[٤٦٤]، ووَجَّهَت الآية إلى أنَّ ما يثير العداوة والبغضاء بين النَّاس إنَّما هو الشَّيطان، فهو العدو الذي ينبغي الحذر منه، إذ يُغْريهم بالعداوة بينهم، والبذاءة في أقوالهم وألْفاظهم، فيوغِر صدَوْرهم وتشْتَعِل الفِتْنة بينهم[٤٦٥].

وما أحْوَج المجتمع التَّربويّ اليوم للاهتمام بهذه القيمة – الإحسان– في الوقت الذي تعاني فيه الكثير من الأُسَر بسبب ما يتعرَّض له أبناؤها من ظاهرة التَّنمُّر، خاصَّةً في المؤسَّسات التَّعليميَّة، وفي مختَلَف المراحل الدِّراسيَّة، لا لشَيءٍ سِوى الجهْل، وغفْلة المرَبّين عن غرْس مثْل هذه القِيَم الأصيلة، والتَّذْكير بها قولاً وسلوكاً، فقد نَشَر المركز الوطنيّ للوقاية من التَّنَمُّر (National Bullying Prevention Center)[٤٦٦] في الولايات المتَّحدة دِراسةً تفيد بأنَّ نسبة التَّنَمُّر بين طلبة المدارس تصِل إلى ٢٠,٢٪، بل وصَلَت النِّسبة إلى ٤٩,٨٪ للَّذين تراوحت أعمارهم بين ٩– ١٢ عاماً، أي أنَّ واحداً من كلِّ خمسة طلَّاب يتعرَّض للتَّنَمُّر

---

[٤٦١] القرآن. الإسراء ١٧: ٥٣.

[٤٦٢] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٤٦٠.

[٤٦٣] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*–إحياء التراث. ج. ٣. ص. ١٣٨.

[٤٦٤] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٥٥٦.

[٤٦٥] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٢٠. ص. ٣٥٥.

[٤٦٦] المركز الوطني للوقاية من التنمر National Bullying Prevention Center. نوفمبر ٢٠٢٠. شوهد ٢٥ اكتوبر ٢٠٢٢. https://www.pacer.org/bullying/info/stats.asp

عليه، وأنَّ ٤١٪ من أولئك الذين تعرَّضوا للتَّنَمُّر يعتقدون أنَّهم ليسوا بمنأى عن تَكَرُّر ذلك معهم، إمَّا بسبب الهيئة التي يظهرون بها أو شَكْل الخِلْقة، أو العِرْق الذي ينتمون له، أو الجندر، أو الإعاقة الجسديَّة، أو الدِّين، أو التَّحَوُّل الجِنْسي، وهذا الأخير مما ابتُلِيَت به المجتمعات المعاصِرة! حيث تتِمّ السُّخْرية من كلّ أولئك والاستهزاء بهم، وإسْماعهم الكلمات البذيئة، أو نَعْتِهم بالأوصاف القبيحة، أو إطلاق الشَّائعات حَوْلهم وخاصَّةً الفتيات، أو التَّعَدِّي عليهم بالضَّرْب، أو عدم السَّماح لهم بالمشاركة في اللَّعب والأنشِطة الجماعيَّة، أو استغلال وسائل التَّواصُل الاجتماعي وتكنولوجيا العالم الافتراضي في الإساءة لهم، وغير ذلك من الاضطهاد الذي يتعرَّضون له، ممَّا يؤثِّر على صحتهم النَّفسيَّة والجسديَّة وحتَّى العقليَّة، وقد يصابون بالإحباط والكآبة، وصُعوباتٍ في النَّوْم، والصُّداع المتكرِّر، وآلامِ البَطْن، وغير ذلك من الأمراض، وبالتَّالي تَراجُع تحصيلهم الدِّراسيّ الذي سينْتج عنه مستقبلاً تدَنِّي المستوى الاقتصادي الذي سيعيشون فيه بسبب ضَعْف المستوى التَّعليمي. بالإضافة إلى أنَّ التَّنَمُّر يشَكِّل خطرًا على علاقاتهم الاجتماعيَّة والتَّواصُليَّة لتدَنِّي نظْرتهم لأنفُسهم، وشعورهم باحتقار الذَّات، ولانعدام ثِقَتهم بالآخرين، فيُؤْثِرون الانْزواء والانطواء، وقد تتصاعد وتيرة العُنْف لدَيهم، وربَّما يجْنَحُوْن للانتحار[٤٦٧].

ولا بدَّ من التَّأكيد على أنَّ "الإحسان جُزءٌ من فِقْه المقاصد والتي في بُعْدِها الضَّروري تحافظ على الحياة، وفي بُعْدِها الحاجي تحافِظ على نظام الحياة، وفي بُعْدها التَّحْسيني تحافظ على جمال الحياة"[٤٦٨]. ويحتاج الصَّغير أنْ يتعلَّم ذلك ارتقاءً بالذَّوْق عنده، واستِشْعاراً لِلَذَّة الإحسان، وتحْسيناً لجَوْدة الحياة، وفي هذا يدْخُل التَّطَوُّع بكثافة.

---

[٤٦٧] المصدر نفسه.

[٤٦٨] د. ك. " الإحسان.. مفهوم الجودة الحضّارة". التصفح في: ١٠ أكتوبر ٢٠٢٢. https://bit.ly/٣Eu٢zoQ

- لفْظ "البِرّ" من الألفاظ التي تحْمل في طيَّاتها معنى التَّطَوُّع، ووردت في بعض الآيات القُرآنيَّة الكريمة التي تحضُّ المسلم على التَّطَوُّع في الخير، وتُزيّن له فِعْلَه، وتُبَيّن آثاره الطَّيّبة وثوابه. وقد عَرَّفَت معاجم اللُّغَة "البِرّ" على أنَّه فِعْل كلّ خيرٍ من أيّ ضَرْبٍ كان[٤٦٩]، وهو الصِّلة والخير والاتساع في النَّفْع والإحسان[٤٧٠]، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[٤٧١]، وذَكَر العلماء أنَّ هذه آيةٌ عظيمةٌ من أُمَّهات الأحكام[٤٧٢]، فالعبادات المنصوص عليها في الآية أكبر العبادات[٤٧٣]. ولفْظ " البِرّ" في الآية يعني سِعَة الْإِحْسَانِ والْخير الشَّامل، وهو اسمٌ لمجموع الخِصال الحميدة[٤٧٤] التي بُنيَت على التَّصديق والإيمان القلبي بأركان الإيمان، ثمَّ تُرجِم ذاك الإيمان بأفْعال الجوارح إلى عملٍ ظاهرٍ، فكان بَذْل المال رغم حُبّه والحرْص عليه دليلاً وبرهاناً يحقِّق صِدْق إيمان المسلم، فينْفقه طواعيةً على سِت فئاتٍ مختلفةٍ عدَّدتها الآية مبتدئةً بالإنفاق على ذوي القُرْبي لأنَّهم أوْلى النَّاس بالإحسان، وهذا توطيدٌ لوشائج القُرْبى وصِلة الرَّحم، ثمَّ الإنفاق على اليتامى لضَعْف حالهم، وشدَّة حاجتهم إلى الرِّعاية، وكذلك المساكين، وذَكَرت الآية أيضاً

---

[٤٦٩] ابن منظور. ١٤١٤هـ. *لسان العرب*. ج.٤. ص ٥٤.

[٤٧٠] جبل. ٢٠١٢م. *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العَلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)*. المجلد الأوَّل. باب برر. ص. ٩٦. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة-بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. باب فصل الباء. ص ٣٤٨.

[٤٧١] القرآن. البقرة ٢: ١٧٧.

[٤٧٢] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٢. ص. ٢٤١.

[٤٧٣] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٨٣.

[٤٧٤] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢. ص. ١٢٨. الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٥. ص. ٢١٥.

ابن السَّبيل الذي انقطعت به السُّبل فصار غريباً يحتاج المعونة والمؤونة، وقيل أنَّ الضَّيْف يدخل في معناه[٤٧٥]، ثمَّ السَّائلين المعونة، وختمت بالإنفاق في باب عِتْق الرِّقاب. وكلُّ ذلك الإنفاق من المال قليلاً كان أو كثيراً إنَّما هو صدَقَةٌ من باب التَّطَوُّع[٤٧٦] تقرُّباً إلى الله تعالى، وليس الزَّكاة الواجبة[٤٧٧]، وقال البيضاوي رحمه الله تعالى: " ويحتمل أنْ يكون المراد بالأوَّل نوافل الصَّدقات أو حقوقاً كانت في المال سوى الزَّكاة"[٤٧٨]، لأنَّ الآية ذَكَرت إيتاء المال وعطَفَت عليه الزَّكاة (وَآتَى الزَّكاة)، ولا بدَّ للمعطوف والمعطوف عليه من المغايرة. وقد جَمَعت الآية الكريمة بحسَب تفسير البيضاوي رحمه الله تعالى بين صِحَّة الاعتقاد والتَّعامل مع الحقِّ بصِدْقٍ، وحُسْن المعاشرة، وتهذيب النَّفْس للتَّعامل مع الخَلْق، وتلك هي الكمالات الإنسانيَّة[٤٧٩].

وهنا تؤكِّد الدِّراسة الأهمِّيَّة التي يوليها القرآن الكريم لضرورة اقتران التَّصْديق القلبي بالممارسة العمليَّة، وقد اتَّفق أهل السُّنَّة على أنَّ مُراد الله تعالى من عباده: القول والعمل[٤٨٠] ، والإيمان ما وَقَر في القلب وصَدَّقه العمل، وقد تَتَبَّعت الباحثة عبارة "الذين آمَنوا وعمِلوا الصَّالحات" فوجَدَتْها قد تَكَرَّرت في القرآن الكريم في خمسين موضِعاً[٤٨١]، ناهيك عن استخدام القرآن لصِيَغٍ أخرى في مواضع عديدةٍ تَقْرِن بين الإيمان والعمل الصَّالح، مثل قوله تعالى: ﴿.. ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا .. ﴿٨٠﴾﴾[٤٨٢]، ممَّا يَدُلُّ دَلالةً

---

[٤٧٥] القرطبي.١٣٨٤هـ ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٢. ص. ٢٤١.

[٤٧٦] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١. ص. ١٩٣.

[٤٧٧] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٥. ص. ٢١٦. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٢. ص. ٢٤٢.

[٤٧٨] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. ١. ص. ١٢١.

[٤٧٩] المصدر نفسه. ج. ١. ص. ١٢١.

[٤٨٠] ابن أبي العز، صدر الدين مُحَمَّد بن علاء الدين عليّ بن مُحَمَّد. ١٤١٨هـ. *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: أحمد شاكر. السعودية: مكتبة الرياض. ص. ٣١٦.

[٤٨١] موقع تفسير https://www.altafsir.com/Quran_Search.asp. موقع الباحث القرآني https://tafsir.ap/

[٤٨٢] القرآن. القصص ٢٨: ٨٠.

واضحةً على أنَّ عَمَل الفرد يَتْبَع ما استقرَّ في قلبه من اعتقادٍ، فتكون الطَّاعة من الجوارح والانقياد، وهذا ما تؤكِّده صراحةً الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى .. ﴿٣١﴾﴾[٤٨٣]، فالاتِّباع يتطلَّب العمل، وهو دليل صِدْق الإيمان والمحبَّة. وأشار العَلَّامة السَّعْدي في تفسيره لقوله تعالى (وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ) إلى الرجل يُعْطي الصَّدَقة وهو فقيرٌ، ضَعيف الحال، شحيح المال، وأوْضَح أنَّه: " إذا كانت الصَّدَقة عن قِلَّةٍ كانت أفْضل، لأنَّه في هذه الحال، يحِبُّ إمْساكه، لِما يتَوَهَّمه من العَدَم والفَقْر"[٤٨٤].

والمال عزيزٌ جداً على نفْس صاحِبه، وقد يكون نِعْمةً إذا أدَّى حَقَّ الله فيه، وقد يتحَوَّل إلى نقمةٍ إنْ بخل به واكتنزه كما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿.. وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[٤٨٥]، ففي الآية وعيدٌ بعذابٍ أليمٍ لمن يُمسِك ماله عن إنفاقه في أبواب الخير المؤدِّية إلى الله تعالى من زكاةٍ وصدقاتٍ، ونفقاتٍ في دفْع نوائب المسلمين[٤٨٦] وإغاثتهم، وأوْضحت آية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [٤٨٧] أنَّ العبد لن يبْلغ منزلة الأبرار حتَّى يُنفِق ممَّا آتاه الله فيما يحبُّه الله، بل حتَّى يُنفِق من أحَبّ ماله إليه، وأنْفسِهِ عنده، فإنَّ ذلك من أفضل الطَّاعات[٤٨٨]، وأجَلّ القُرُبات، وجاءت عبارة "مِنْ شَيْءٍ" بحسَب تفسير العَلَّامة ابن عاشور "بَيَانٌ لِمَا فِي مَا مِنَ الْعُمُومِ"[٤٨٩]، فكلّ عَطاءٍ يبادِر به العبد مهما كان قدْره يعلَمه الله، ويجازي به خَلَفاً في الدُّنْيا، ومثوبةً في الآخرة[٤٩٠]، ذلك تصديق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿.. وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ

---

[٤٨٣] القرآن. آل عمران ٣: ٣١.

[٤٨٤] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٨٣.

[٤٨٥] القرآن. التوبة ٩: ٣٤.

[٤٨٦] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٠. ص. ١٧٧. السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٣٣٥.

[٤٨٧] القرآن. آل عمران ٣: ٩٢.

[٤٨٨] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٨. ص. ٢٨٨.

[٤٨٩] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢٢. ص. ٢٢٠.

[٤٩٠] المصدر نفسه.

ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[٤٩١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿.. وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ.. ﴿٢٠﴾﴾[٤٩٢]، فقوله "مِن خَيْرٍ" تشمل كلّ فِعْل الخير[٤٩٣]، فلا يزْهَدَنّ أحَدٌ في عمل الخير، وبذْل المعروف، والتَطَوُّع لتقديم النَّفْع على أي وجْهٍ أو قَدْرٍ كان، لأنَّه مجْزيٌّ به كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾[٤٩٤]، وقال السَّعْدي رحمه الله تعالى: "وهذه الآية فيها غاية التَّرْغيب في فِعْل الخير ولو قليلاً"[٤٩٥]. كما وَرَدت في هذا السِّياق آياتٌ أخرى تُرغِّب في فِعْل الخير والإكثار منه كما في قوله تعالى: ﴿.. وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[٤٩٦]، وجاءت كلمة "مِن" لتفيد التَّنْصيصِ على العموم[٤٩٧]. فإذا عَلِم العبد أنَّ الله سبحانه وتعالى عالمٌ ومحيطٌ بكلّ خيْرٍ وقُربةٍ وعبادةٍ يقوم بها، كان ذلك خيْرَ حافزٍ له يحثّه على فِعْل الخير مهما قَلّ، بل والإكثار منه[٤٩٨].

وعلى الرَّغم من أنَّ الآية وَرَدت في سِياق حثِّ مَن قَصَد الحَجّ على التَّزَود لهذا السَّفَر المبارك، إلّا أنَّ لفْظ "وتزوَّدوا" استُعير للاستكثار من فعل الخير استعداداً لليوم الآخِر[٤٩٩]، حيث يكون الحساب والثَّواب والعِقاب، فكأنَّ المرء يعيش في هذه الدُّنْيا سَفراً لا يلْبث أنْ ينقضي، فيحتاج إلى التَّزود بالخيرات والأعمال الصَّالحات لتكون له طَوْق نجاة ساعة يحين الحساب.

وتوضِّح الدِّراسة أنَّ بسْط هذه المعاني وما فيها من اتساعٍ وشموليةٍ فيه ترغيبٌ وتحبيبٌ للصَّغير على فِعْل أيِّ أمرٍ يسيرٍ ممّا يُطْلَق عليه خيرٌ وبرٌّ، فكِفاية تَوْجيه المرَبِّين للصِّغار لهذا الأمْر، أي لاتِّساع معنى البِرّ،

---

[٤٩١] القرآن. سبأ ٣٤: ٣٩.

[٤٩٢] القرآن. المزمل ٧٣: ٢٠.

[٤٩٣] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢٩. ص. ٢٨٨.

[٤٩٤] القرآن. الزلزلة ٩٩: ٧.

[٤٩٥] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٩٣٢.

[٤٩٦] القرآن. البقرة ٢: ١٩٧.

[٤٩٧] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٩١.

[٤٩٨] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢. ص. ٢٣٥. السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٩١.

[٤٩٩] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢. ص. ٢٣٦.

تبْعَث في نفوسهم الحَماسة والاندِفاع للتَّخَلُّق بهذا الوصْف، وبذْل الجهد وما في الوُسْع لتقديم وتقدير العَطاء منهم وإليهم، والارتقاء بمشاعرهم ونظْرَتهم تجاه الأسرة والبيئة المحيطة والرُّفقاء، بعيداً عن التَّمَرْكز حول الأنا والانكفاء على الذَّات.

كما أنَّ بَسْط مفهوم الخير والبِرّ يقود إلى إعلاء قيمة الضَّمير الإنسانيّ وتزْكِية النُّفوس في السَّعي لتطوير جوْدة الحياة. ومن محاسِن التَوْجيه لهذه القِيَم أنَّها تُعَزِّز لدى الصِّغار الرَّقابة الذَّاتيَّة لأنَّهم يتعَلَّمون أنَّ الله لا يخْفَى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، وأنَّ بِرَّهم بوالديهم وبمَن له حقٌ عليهم من أجَلّ القُرُبات والطَّاعات، فيتفانون في التَّطَوُّع لخدمتهم والقيام بواجبهم.

- واستعمل القرآن الكريم لفْظ " القرْض" باشتقاقاتٍ مختلفةٍ في سياق حثِّ العباد على التَّطَوُّع في الخير، وعلى العَطاء ابتغاء حُسْن الجزاء من ربِّ الأرض والسَّماء. و" القرْض" لغةً يعني القّطْع[٥٠٠]، أي ما يقْتطِعه المرء من ماله ليُعطيه ويُسْلفه غيره، ثم يُقضاه، أي يُرجَع إليه، والأمْر لا يقْتَصِر على اقتطاع المال، بل ويُطْلَق أيضاً على ما يفعله المرء ليُجازى عليه[٥٠١]، فالقرْض "اسمٌ لكلِّ ما يُلتَمَس عليه الجزاء، وأقْرَض فلانٌ فلاناً أي أعطاه ما يتجازاه"[٥٠٢]. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْقَرْضُ فِي اللُّغَة الْبَلَاءُ الْحَسَنُ وَالْبَلَاءُ السَّيِّئُ[٥٠٣]. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: الْقَرْضُ مَا أَسْلَفْتُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ[٥٠٤]. والعربي يقول: " قد أحسَنْتَ قَرْضي" لكلِّ مَن يفْعَل إليه خيراً[٥٠٥]، فإذَنْ يمكن إطلاق القرْض

---

[٥٠٠] ابن منظور. ١٤١٤هـ. *لسان العرب*. ج.٧. ص ٢١٦. جبل.٢٠١٢م. *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. ج.٤. ص. ١٧٦٨.

[٥٠١] المصدر نفسه.

[٥٠٢] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٣. ص. ٢٣٩.

٥٠٣ المصدر نفسه.

[٥٠٤] المصدر نفسه.

[٥٠٥] جبل.٢٠١٢م. *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. ج.٤. ص. ١٧٦٨.

مجازاً على البَذْل مُطْلَقاً لأجْلِ الجزاء[٥٠٦] فيشمل بذْل المال، والنَّفْس، والوقت، وغير ذلك رجاء الثَّواب.

وقد تَبَيَّن للباحثة أثناء الكَشْف عن كلمة "قَرْضٍ" من خلال الجذر أنَّها تَكَرَّرت في القرآن الكريم ثلاث عشْرة[٥٠٧] مرةً، منها اثنتا عشْرة مرةً بمعنى الإقراض، أي اقتطاع العبد ممَّا يَمْلِك ليتبَرَّع به في سبيل الله[٥٠٨]. وقد صَوَّرته الآيات القُرآنيَّة على أنَّه إقْراض العبد لله تعالى، مع أنَّه سبحانه مالِك المُلْك الغَنيُّ عن عباده، وبيَده كنوزٌ لا تفْنى ولا تَنْقُص بكثْرة العَطاء والإحسان، ولكنَّ الله كنَّى عن الفقير والمحتاج بذاته العَليَّة المنزَّهة عن النَّقائص والحاجات لمزيد ترغيبٍ للعباد في البَذْل والتَطَوُّع والعَطاء والحثِّ على الصَّدَقة والإنفاق على الفقراء والمحتاجين[٥٠٩] دون إبْطاء، وفي هذا تشريفٌ وتكريمٌ للفقير والمحتاج لأنَّ الله سبحانه وتعالى تَوَلَّى دعوة الآخَرين لسَدّ حاجته. وفيما يلي بيان تلك الآيات:

- قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً .. ﴿٢٤٥﴾﴾[٥١٠]،
- وقال تعالى: ﴿.. لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ .. ﴿١٢﴾﴾[٥١١]،
- وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾[٥١٢]،

---

[٥٠٦] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢. ص. ٤٨١.

[٥٠٧] موقع تفسير https://www.altafsir.com/Quran_Search.asp.موقع الباحث القرآني https://tafsir.ap/

[٥٠٨] جبل.٢٠١٢م. *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. ج.٤. ص. ١٧٦٩.

[٥٠٩] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٣. ص. ٢٤٠.

[٥١٠] القرآن. البقرة ٢: ٢٤٥.

[٥١١] القرآن. المائدة ٥: ١٢.

[٥١٢] القرآن. الحديد ٥٧: ١١.

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[٥١٣]،

- وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[٥١٤]،

- وقال تعالى: ﴿.. وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ .. ﴿٢٠﴾﴾[٥١٥]،

فمَن يُقرِض إنساناً معوزاً، يرتجي منه السَّداد، وهو غيرُ ضامنٍ حصوله، فكيف إذا كان الإقْراض لله، و"الله لا يسْتَقْرِض من عوَزٍ، ولكنَّه يبلو عباده"[٥١٦]، فهو سبحانه وتعالى وَعَد وعْداً صادقاً بأنْ يُجازي المقرِض بالأحسن، ويشْكُر له استجابته وسَعْيه لنَفْع العباد، وقضاء حوائجهم وتفريج كُرَبهم، فيضاعِف أجْره، ويرزقه مغفرته، ويزيده من فضله ﴿.. وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[٥١٧]. فالإقراض لله مَغْنَمٌ لا ينبغي للعاقل أنْ يفوّته، وهو تطوُّعٌ يَفْرَح بنتيجته فاعِله.

وأظْهَرت الدِّراسة أنَّ كلَّ الآيات التي عَبّرت عن التَّطَوُّع بإعَطاء قرْضٍ لله؛ وصَفَت القرْض بالحَسَن ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾، وكأنَّ هذا الوَصْف يُنبّه المقْرِض (المتَطَوّع) إلى جُمْلةٍ من المعاني الواجب استحضارها ومراعاتها، والآداب التي ينبغي التَّحَلّي بها، فأبْرَزتها الباحثة في نقاطٍ كما يلي:

---

[٥١٣] القرآن. الحديد ٥٧: ١٨.

[٥١٤] القرآن. التغابن ٦٤: ١٧.

[٥١٥] القرآن. المزمل ٧٣: ٢٠.

[٥١٦] ابن منظور. ١٤١٤هـ. *لسان العرب*. ج.٧. ص ٢١٧.

[٥١٧] القرآن. النِّساء ٤: ١٢٢.

- إدْراك المقرِض (المتطوّع) أنَّ ما سيُقَدِّمه من قرْضٍ (تطوُّعٍ) مالٍي أو عملي إنَّما هو نعمةٌ من الله تعالى ابتداءً، فلوْلا أنَّ الله رزَقه إيَّاه ومَكَّنه منه وأطْلَق يده فيه لما استطاع أنْ يُقْدِم عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ... ﴿٥٣﴾﴾[٥١٨].
- إنَّ قيامَه بالإقراض إنَّما هو من توفيق الله له، وهدايته وفَضْلِه عليه وعَوْنِه، وهذه نِعمةٌ ينبغي أنْ يشكُر الله عليها، ولا يغْتَرّ بعمله، فسَبْقه لعمل مِثل هذه الخيرات، والإكثار من مِثل هذه الطَّاعات يجعله من الذين اختَصَّهم الله بالفضْل كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[٥١٩]، وذَكَر الزمخشري رحمه الله تعالى أنَّ الإشارة بالفَضْل يعود إلى السَّبْق بالخيرات، وهي السَّبب في دخول الجنَّات[٥٢٠]، وذُكِر في التفسير في معنى (السَّابق بالخيرات) أنَّه الذي يُسارِع إلى الأعمال الصَّالحات، ويجتهِد فيها، فيَسْبِق غيره ممَن وصَفَتْهم الآية بالمقتَصِد والظَّالم لنفْسه[٥٢١]. فكم من غافلٍ عن اغتنام الأعمال الصَّالِحة ممَّا هو في إمكانه، ومقَصِّرٍ في أداء حقِّ الشُّكر عليها، قال تعالى: ﴿.. وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾[٥٢٢].
- إنَّ تقديم القرْض لله تعالى يستَوْجِب أنْ يكون القرض حلالاً طيّباً مقبولاً عند الله، لأنَّه من معاني القرض في اللُّغَة أنَّه مَا أَسْلَفَه الإنسان مِنْ إحسانٍ وَمِنْ إساءة[٥٢٣]، فلا يصِحّ أنْ يكون

---

[٥١٨] القرآن. النحل ١٦: ٥٣.

[٥١٩] القرآن. فاطر ٣٥: ٣٢.

[٥٢٠] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٣. ص. ٦١٣.

[٥٢١] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٦٨٩. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٤. ص. ٤٠١. الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ٢٠. ص. ٤٧١.

[٥٢٢] القرآن. النحل ١٦: ١١٤.

[٥٢٣] ابن منظور. ١٤١٤هـ. *لسان العرب*. ج.٧. ص ٢١٦. الرازي، زين الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسُف الشيخ مُحَمَّد. الطبعة الخامسة. بيروت: المكتبة العصرية. ص. ٢٥١.

قَرْضَ إساءةٍ، بمعنى أنَّه إذا استذْكَر العبد أنَّ قَرْضه لله فلا يجب أنْ يُقرِض أخاه شيئاً خبيثاً، أو يتطَوَّع بإعانةٍ على أمْرٍ فاسِدٍ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ .. ﴿٢٦٧﴾﴾[٥٢٤]، وهذا تأكيدٌ على ما تَقَدَّم ذِكْره آنفاً من أهمِيَّة تقييد التَّطَوُّع بالخير ليُثاب فاعله، لأنَّ التَّطَوُّع في الشَّر مذمومٌ، وآثِمٌ ومعاقَبٌ مَن يَقْترفه.

- ألا يُلْحِق المقرِض عَطاءه بالمنِّ والأذى، فإنَّ في ذلك منْقَصَةً تُشَوِّه حُسْن العَطاء، وتمْحَق أجْره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[٥٢٥].
- أنْ تكون نِيَّة المقرِض (المتطوِّع) خالصةً لله، فلا رِياء ولا خُيَلاء، قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[٥٢٦]، فما كان عَطاؤه إلَّا ابتغاء وَجْه الله تعالى[٥٢٧].
- ما ورَدت كلمة "قَرْضاً" في الآيات المشار إليها؛ وعددها سِتُّ آياتٍ في سِتِّ سُوَرٍ؛ إلَّا وتَبِعها وَصْفُ "حَسَناً"، فقَصْر الوصْف على كوْنِه حَسَناً يُخرج ما دون ذلك من الأوصاف كالمقدار، ووقْت الإخراج، ونوْعية القَرْض إنْ كان مالاً، أو عملاً، أو نُصْحاً، أو غير ذلك، في دَلالةٍ واضحةٍ على أنَّ أيّاً من تلك الأوصاف لا أهمِيَّة له، فالله يَتقبَّل العَطاء القليل والكثير، وباب

---

[٥٢٤] القرآن. البقرة ٢: ٢٦٧.

[٥٢٥] القرآن. البقرة ٢: ٢٦٢-٢٦٣

[٥٢٦] القرآن. الليل ٩٢: ١٩-٢٠

[٥٢٧] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٦. ص. ١٥٩٧. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٢٢٢. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٢٠. ص. ٨٨.

القَبول عنده مفتوحٌ في كلّ وقتٍ وحينٍ، فلا حُجة لمن لا يملِك الكثير في أنْ يساهم بما يستطيع لنَفْع عباد الله. كما أنَّ اختيار وصْف "حَسناً" دون غيره يأتي متوافقاً مع التَّعريف اللغوي للقرض الذي يشمل مَا أَسْلَفَ العبد مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ[٥٢٨]، فيجعل القرض السَّيء مُسْتَبْعَداً.

- إنَّ تَكرار أمْر الإقراض لله في عددٍ من الآيات فيه تعويدٌ للمسلِم على البذْل والعَطاء، والتَطَوُّع في رفْع الضُّر عن النَّاس، والتَوْسعة عليهم، وهو بابٌ للتَّعاون على الخير والتَّكافُل، وتوْثيق عُرى الأُخُوَّة، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. ﴿١٠﴾﴾[٥٢٩].
- تَقدّم الحديث عن معنى القرْض في اللُّغَة على أنَّه القَطْع، وبناءً عليه تُظهِر الدِّراسة أنَّه يمكن اعتبار اقتطاع جزءٍ من الوقت أو الجُهد لمساعدة الآخرين بمثابة قَرْضٍ، قياساً على اقتطاع جزءٍ من المال، وبذلك يكون في مقدَوْر الجميع تقديم ما تيسّر لهم من أنواع القروض لينالوا ثواب الله تعالى.
- ورَد التَّحْضيض على البذْل والعَطاء تطوعاً بصيغة الاستفهام[٥٣٠] في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا .. ﴿٢٤٥﴾﴾[٥٣١]، مما يوحي بأنَّ شَخصِيَّة المقرِض (المتطَوّع) غير محصورةٍ في شخصٍ دون آخر، أو فئةٍ دون فئةٍ، فقد يكون ذكَراً أو أنثى، كبيراً أو صغيراً، غنيّاً أو فقيراً، فباب التَّطَوُّع مفتوحٌ على مصراعَيْه يَدْخل منه كلُّ مَن أراد البذْل في سبيل الله والإحسان لعباده.

---

[٥٢٨] الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٣٠٠.

[٥٢٩] القرآن. الحجرات ٤٩: ١٠.

[٥٣٠] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢. ص. ٤٨١.

[٥٣١] القرآن. البقرة ٢: ٢٤٥.

وتَتَجَدَّد القِيَم التي يتمّ تَوْجيه الصِّغار إليها مع معاني القَرْض الحَسَن، حيث تستشهِد الدِّراسة بما ورَد من معاني القَرْض الحَسَن في التفاسير، بأنْ يتم تَوْجيهها لتعْليم تعْظيم حُبِّ الله في نفْس الصَّغير ووجْدانه لأنَّه سبحانه، وهو المتَفَضِّل، جعل نفْسه العَليَّة مكان المقْترِض، ممّا يوحي بعظيم رحمة الله بعباده، وحبّه لهم، خاصَّةً مَن كان منهم ضعيفاً وفي حاجةٍ للمساعدة، كما تتعَزَّز لدى الصَّغير كِفاية التَّعاون مع الآخَرين لأجْل المصلحة العامَّة، وهذا بدَوْره يعزِّز رابطة الأخوَّة الإيمانيَّة بين الأفراد. وأيضاً يجعل أذهان الصِّغار تتَّجه إلى أهمِيَّة تحَرِّي الكسْب الحلال ليكون الإنفاق منه في عَوْن المحتاج مقبولاً عند الله.

وتُبرِز الدِّراسة أهمِيَّة توْسيع دائرة الإقراض في ذِهْن الصِّغار بحيث لا تقتصر على إقراض المال، فهُم في عُمرٍ صغيرٍ، ومكاسبهم الماديَّة محدودةٌ جداً، لكنَّ الإقراض منهم يمكن أنْ يكون وقتاً يُعِينون فيه الآخرين على عمل خيرٍ، وتحصيل عِلْمٍ، واجتهادٍ في الدِّراسة مثلاً وتخَطِّي مصاعبها، أو يمكنهم مشاركة اللُّقْمة التي في أيديهم مع زملاءٍ لهم لا يملكون ثمنها، فهذا من الإقْراض الحَسَن الذي يُعَزِّز العَلاقات الأخويَّة، ويُقَلِّل فُرَص التَّنافر والتَّشاحن.

- مفهوم "الإيثار" من بَيْن المعاني التي أبرزها القرآن الكريم في الحَضِّ على التَّطَوُّع في الخير، وامتدح فاعله، كما في قوله تعالى: ﴿.. وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[٥٣٢]. والإيثار هو تقديم الإنسانُ غيره على نفْسه[٥٣٣]، ووصَف السَّعدي رحمه الله تعالى خُلُق الإيثار بأنَّه "أكْمَل أنواع الجود"[٥٣٤]، ذلك لأنَّ المؤْثِر يُقدِّم حاجة غيره ممّا يحبّه

---

[٥٣٢] القرآن. الحشر ٥٩: ٩.

[٥٣٣] الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٥. ص. ٢٣٩. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ١٨. ص. ٢٦.

[٥٣٤] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٨٥٠.

هو من مالٍ وغير ذلك على حاجة نفْسه، فيبْذلها له حبّاً وتفضُّلاً وسخاءً[٥٣٥]. وممَّا يؤكِّد ذلك المعنى ما ورَد في أحَد أوْجه تفسير عبارة "على حبِّه" في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[٥٣٦]، حيث فيه إشارةٌ إلى " أنَّ هذا الطعام ليس شيئا رخيصاً مبتذلاً، كشأنه في أحوال الرخاء، ووفْرة حاجات النُّفوس منه، وإنَّما هو الطعام في أحوال القحْط، والجدْب، وفى أزمان المجاعات التي تكون فيها لُقمة الطَّعام أعزّ ما يملِك النَّاس، وأثْمن ما يحرصون عليه من مالٍ ومتاعٍ، حتَّى إنَّ المرء ليسْترخِص كلَّ عزيزٍ يملكه، في سبيل شيءٍ منه"[٥٣٧] وهذا هو الإيثار. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٥٣٨] أنَّ " المريد هو الذي يؤثِر حقّ الله على حظّ نفْسه، فإيثار المريد وجْه الله أتمّ من مراعاته حال نفْسه، فهِمّته في الإحسان إلى ذوي القربى والمساكين تتقدَّم على نظَرِه لنفْسه وعياله وما يهمّه من خاصّته"[٥٣٩].

وتؤكّد الدِّراسة أنَّ هذا هو جوْهر التَّطَوُّع: بذْلٌ وتضحيةٌ وعَطاء عن طيب خاطرٍ: من مالٍ ووقتٍ وجهدٍ ونُصْحٍ وعلمٍ، وغير ذلك من الفضائل بُغية مساعدة الآخَر دونما انتظارٍ لجزاءٍ إلَّا من ربِّ العباد، فكيف إنْ كان هذا البذْل يَصْدر ممَّن هو في أمَسِّ الحاجة إليه، فلا ينْظر لحاجة نفْسه وخصاصته وفاقَته مؤْثِراً غيره على نفْسه، متحمِّلاً التَّعب، صابراً على المشقَّة! ألا يكون هذا دليلاً على رُقيّ الخُلُق، وقوَّة اليقين، ورغبةٍ صادقةٍ في محبَّة ربِّ العالمين، محبَّةً تفوق محبَّته لنفْسه، وإشباع رغباتها[٥٤٠]؟! بلى، إنَّه كذلك

---

[٥٣٥] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٤. ص. ٨٦١. السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٨٥٠. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ١٨. ص. ٢٦.

[٥٣٦] القرآن. الإنسان: ٣٨:٧٦

[٥٣٧] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٥. ص. ١٣٦٣. ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢٩. ص. ٣٨٤.

[٥٣٨] القرآن. الروم: ٣٨:٣٠

[٥٣٩] القشيري. د. ت. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. ج. ٣. ص. ١١٩.

[٥٤٠] المصدر نفسه.

لأنَّ الله سبحانه وتعالى امتدح في الآية الكريمة أولئك الذين يؤثِرون غيرهم على أنفسهم رغم ما يعانون من فاقةٍ بأنَّهم قومٌ نجحوا في التَّخلُّص من شُحِّ النَّفْس والأثَرة، فطاب لهم الإيثار، وعبَروا إلى ضِفَّة النَّجاة، فاستحقوا وصْفهم بالمفلحين الأبرار.

إنَّ المجتمع بمؤسَّساته المختلفة، وجموع أفراده، وعلى الأخصِّ الصِّغار، بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى التَّحلِّي بمثْل هذا الخُلُق الرَّاقي في العصر الرَّاهن، العصر الذي سادت فيه صِفة الأخْذ على العَطاء، وطَغَت فيه المؤثِّرات الماديَّة على القِيَم الروحيَّة، وزادت النَّزْعة الفرديَّة باتجاه المصلحة الشَّخصِيَّة، فاستباحت حِصْن الأخلاق تحت مسمَّى الحرِّيَّة، فتلاشت الحدود، وذابت القيود مع الانفتاح اللّامحدود؛ بسبب تطَوّر التَّقنيات؛ على مخْتَلف الثَّقافات، وما تحوي من شُبهاتٍ وآفاتٍ أنْتجت كثيراً من المشكلات التَّربويَّة، وتراجعت معها القِيَم الأخلاقيَّة، ومن ضِمنها قيمة العَطاء والإيثار، والتَطَوُّع بلا مُقابل، بل إنَّ الأمْر تطوّر إلى ما هو أبْعد من ذلك، حيث انتشرت ظاهرة العنف والعدوانيَّة والتَّسلّط على ما في أيدي الآخَرين.

ففي دِراسةٍ ميدانيةٍ[٥٤١] للكشْف عن المشكلات السّلوكيَّة لدى طَلبة المرحلة الإعداديَّة في بعض المدارس الحكوميَّة في الأردن، والذين تراوحت أعمارهم بين ١٢-١٥ سنةً، تَبيّن أنَّ هذه الفئة تعاني من مشكلات عدوانيَّة في السّلوك نتيجة عدة أسبابٍ من أهمِّها:

- اتِّباع وسائل تربيةٍ غير فَعّالةٍ،
- ضَعْف الرَّقابة والمتابعة من قِبَل الوالدَيْن في البيت، والمعلِّمين في المدرسة،
- بالإضافة إلى قُصور في التَّنشئة الاجتماعيَّة، ودَوْر وسائل الإعلام غير المنضبِط،

[٥٤١] آن موسى النجداوي ومحمود كفاوين. ٢٠١٥. " أسباب السلوك العدواني عند الأطفال من وجهة نظرهم". *مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*. الأردن. المجلد (٤٢)، الملحق ٢: مارس. ص. ١٤٨٧.

ممَّا أدَّى إلى جنوح الأطفال إلى العُنف للتَّعبير عن غضبهم وتَسَلُّط الكبار عليهم، وأثْبتت الدِّراسة أنَّ السّلوك العدواني سُلوكٌ مُتَعَلَّمٌ، حيث يقلِّد الصِّغار ما يشاهدونه داخل أُسَرِهم، ومن معلِّميهم في المدرسة، ومن الرِّفاق في المدرسة وخارجها، وممَّا تعْرِضه وسائل الإعلام المرئي والمقروء.

لذا توجّه الدِّراسة الحاليَّة المرَبّين إلى ضرورة إعادة المكانة المرموقة لخُلُق الإيثار في أذهان المترَبّين الصِّغار لِكونه صورةً مشرقةً راقيةً من صُوَر التَّطَوُّع في الخير، ولَعَلَّاقَته الوثيقة بكِفاية التَّواصُل، وكِفاية المشاركَة، وكِفاية الوعْي بالذَّات، وكِفاية تَحَمُّل المسؤوليَّة، وذلك من خلال الاهتمام بطَرْح هذا المفهوم بشكْلٍ ممنهجٍ، وبأساليب جديدةٍ جذَّابةٍ مبتكَرةٍ، وبيان آثارها الطَّيِّبة على نفسية الفرد الممارِس لها، وشعوره بالأهمِّيَّة والاستقرار النَّفسيّ والعاطفيّ، لأنَّه بهذا الخُلُق يَكْسِب محبَّة الآخرين، ويَشْعر أنَّ وجوده في موقعه مفيدٌ لهم، وأنَّه مَحَلّ تقديرٍ واحترامٍ لما يقوم به من مساهماتٍ تُسْعدهم، وكذلك ما يتركه تطبيق هذا الخُلُق الرَّفيع من أثَرٍ طيّبٍ على نفسيَّة الطَّرَف الآخَر المستفيد فرْداً كان أو جماعةً، وبالتالي ينْعم المجتمع ككلٍّ بهذه الغنيمة الباردة.

- ومن المفاهيم القُرآنيَّة التي تصُبُّ في معنى التَّطَوُّع، مفهوم " الشَّفاعة" حيث أبْرَزته الآيات القُرآنيَّة تطبيقاً عملياً لصورةٍ من صُوَر التَّطَوُّع، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾[٥٤٢]. وأصْل الشَّفاعة من الشَّفْع وهو الزَّوج في العدد من كلِّ شيءٍ[٥٤٣]، ومَن يقوم بالشَّفاعة يَسَمَّى شفيعاً لأنَّه يجتمع مع صاحِب الحاجة فيصير شّفْعاً له[٥٤٤]. فالشَّفاعة عملٌ يختصُّ بعَلاقة المرء مع غيره من النَّاس،

---

[٥٤٢] القرآن. النِّساء ٤: ٨٥.

[٥٤٣] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ٣. ص. ٨٤٩. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٥٩٦. القرطبي. ١٩٦٤. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٥. ص. ٢٩٥.

[٥٤٤] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٠. ص. ١٥٩. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٥٩٦. القرطبي.١٣٨٤هـ-١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٥. ص. ٢٩٥.

ويُقصَدُ به "المعاونة على أمْرٍ من الأمور"[٥٤٥]، فيشْفَع بعض النَّاس لبعضٍ في قضاء حوائجهم، ومُجْمَل ما ذَكَره أهل التفسير[٥٤٦] في معنى الشَّفاعة الحسَنة أنَّها تكون في أمور البِرّ والطَّاعة لله، وفي جَلْب خيرٍ أو دفْع شرٍّ، أو تحصيل حقٍّ ورَفْع ظُلْمٍ، أو إصلاحٍ بين النَّاس ابتغاء وجْه الله تعالى، وغير ذلك من الوساطة في الخير، حتَّى الدُّعاء للمسلمين داخِلٌ في معناها[٥٤٧]، سواءٌ كانت تلك الشَّفاعة بطَلَبٍ من المنتَفِع أم بلا طلَب[٥٤٨].

وتوَضّح الدِّراسة أنَّ تلك الأعمال هي من مجالات التَّطَوُّع العديدة التي يَبْذل فيها المتطوّعِ من وقْته وجُهده وعِلْمه وجاهه ومكانته ما تَيَسّر له، وأنَّ عِبارة "سواءٌ كانت تلك الشَّفاعة بطَلَبٍ من المنتَفِع أم بلا طَلَبٍ" توحي بعُنْصِر المبادرة التي يجب أنْ تكون عند المتطوّع حاضرةً دوْماً، فلا ينتظر حتَّى يُطْلَب منه العَوْن، بل يُبادر بالسَّعي والبذْل، فكلّ شافعٍ في أمْر خيرٍ ابتغاء وجْه الله تعالى له نصيبٌ من الأجْر والثَّواب حتَّى وإنْ لم يُشَفَّع، لأنَّ الله سبحانه وتعالى قال (مَن يَشْفَع) ولم يقل (مَن يُشَفَّع)[٥٤٩]. وتجدر الإشارة إلى ما ذكَره العَلَّامة ابن عاشور في هذه الآية إذ يقول عن الشَّفاعة: " وَوَصْفُهَا بِالْحَسَنَةِ وَصْفٌ كَاشِفٌ لِأَنَّ الشَّفاعة لَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الْوَسَاطَةِ فِي الْخَيْرِ، وَأَمَّا إِطْلَاقُ الشَّفاعة عَلَى السَّعْيِ فِي جَلْبِ شَرٍّ فَهُوَ مُشَاكَلَةٌ، وَقَرِينَتُهَا وَصْفُهَا بِسَيِّئَةٍ، إِذْ لَا يُقَالُ (شَفَعَ) لِلَّذِي سَعَى بِجَلْبِ سُوءٍ"[٥٥٠].

---

[٥٤٥] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١٩٠.

[٥٤٦] البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ٢. ص. ٨٧. الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٠. ص. ١٥٩. السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١٩٠. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٥٩٦. القرطبي.١٣٨٤هـ-١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٥. ص. ٢٩٥.

[٥٤٧] البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ٢. ص. ٨٧.

[٥٤٨] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٥. ص. ١٤٣.

[٥٤٩] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٠. ص. ١٥٩. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٥. ص. ٢٩٦.

[٥٥٠] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٥. ص. ١٤٤.

وأعظم شفاعةٍ هي شفاعة النَّبيّ مُحَمَّد ﷺ التي ادَّخرها لأمَّته يوم القيامة، حيث ورَد في الحديث الصَّحيح أنَّه قال: " لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٥٥١]، وجاء في شرْح الحديث: " أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لَهُ دَعْوَةٌ مُتَيَقَّنَةُ الْإِجَابَةِ، وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ إِجَابَتِهَا، وَأَمَّا بَاقِي دَعَوَاتِهِمْ فَهُمْ عَلَى طَمَعٍ مِنْ إِجَابَتِهَا، وَبَعْضُهَا يُجَابُ وَبَعْضُهَا لَا يُجَابُ"[٥٥٢]. وذَكَر العلماء أنَّ في هذا الحديث: "بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ، وَاعْتِنَائِهِ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمُ الْمُهِمَّةِ، فأخَّر النَّبيّ ﷺ دَعْوَتَهُ لِأُمَّتِهِ إِلَى أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِهِمْ"[٥٥٣]، وفِعْله ﷺ في الشَّفاعة قُدْوةٌ لأمّته كي تسْعى طواعيةً فيما بينها في درب الخير، وتقديم النَّفْع للغير.

ليستبْشِر بالفرح الغامِر، والأجْر الوافر أولئك المتطَوّعون الذين يسْعَون في الشَّفاعة بالخير بين النَّاس، فيُعينون عليه طاعةً لله، ورَغبةً في تحصيل رضاه، فقد وَعَدَهم سبحانه وتعالى بأنْ يكون لهم نصيبٌ من أجْرها[٥٥٤]، وزاد العَلَّامة السَّعدي رحمه الله تعالى في إيضاح ما ينالهم من الأجْر فذَكَر أنَّ: "النَّصيب من الشَّفاعة يكون بحسَب سَعْي الشَّفيع، وعمَله ونفْعه دون أنْ ينْقُص من أجْر الأصيل والمباشِر شيءٌ"[٥٥٥]. ويكْفيهم فضْلاً وشَرَفاً أنَّ الله سبحانه وتعالى شَهِد لهم بالخيرية حين قال في الكتاب العزيز: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَا ١١٤﴾[٥٥٦]، ويكْفيهم أنَّهم من الذين أحْسَنوا العمل، فاستَحقوا الأجْر والثَّواب من

---

[٥٥١] مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. كتاب الجمعة. باب تخفيف الصَّلاة والخطبة. ج. ١: ١٨٨. رقم الحديث (١٩٨).

[٥٥٢] النووي، أبو زَكَرِيّا محيي الدين يحي بن شرف. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجّاج. الطبعة الثَّانية. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. ٣. ص.٧٥.

[٥٥٣] المصدر نفسه.

[٥٥٤] البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ٢. ص. ٨٧. الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٠. ص. ١٥٩. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٥٩٦. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٥. ص. ٢٩٥.

[٥٥٥] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١٩٠.

[٥٥٦] القرآن. النِّساء ٤: ١١٤

الله وإنْ لم يَرَوا عِوَضاً من النَّاس، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿.. وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[٥٥٧]. أمَّا أولئك الذين يتَطَوَّعون في الشَّر، ويسعَوْن شُفَعاء فيه عامِدين، فتلك الشَّفاعة السَّيِّئة المذمومة في الآية ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾، كأنْ يشْفَعوا في حَدٍّ من حدود الله، أو يشْفَعوا شفاعةً يريدون بها مُحَرَّماً[٥٥٨]، أو معصيةً[٥٥٩]، أو يسعَون بالغيبة والنَّميمة بين النَّاس[٥٦٠]، وكلّ ما لا يجوز في الدِّين أنْ يُشفَع فيه فهو شفاعةٌ سيئةٌ[٥٦١]، حَذَّرت الآية مرتكِبها، وأنْذَرَته، لأنَّه سيناله من الوِزْر والإثم بحسَب ما قام به وأعان عليه[٥٦٢]، وقد نَهَى الله سبحانه وتعالى عن التَّعاوُن على الإثم والعُدوان، قال تعالى: ﴿.. وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[٥٦٣]، ولذلك كان تذييل آية الشَّفاعة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ تقريراً بأنَّ الله سيُجازي كُلاًّ بما يسْتحقّه، لأنَّه سبحانه شاهدٌ حفيظٌ حَسيبٌ على أعمال العباد[٥٦٤]، وفي هذا التَّقرير ما فيه من الحثِّ على عمل الخير، والتَّحذير الشَّديد، والزَّجْر العظيم لكلِّ مَن تُسوِّل له نفْسُه السَّعي في باطلٍ، أو الإعانة عليه ولو بكلمةٍ شافعةٍ. فعلى المرء أنْ يَنْظُر فيم يشْفع ويتَطَوَّع، واضعاً نُصْب عينيه ميزان الدِّين "فالحسَنة ما يجوز في الدِّين، والسَّيِّئة ما

---

[٥٥٧] القرآن. يوسُف ١٢: ٥٦

[٥٥٨] البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ٢. ص. ٨٧.

[٥٥٩] الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٥٩٦. القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٥. ص. ٢٩٥.

[٥٦٠] الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٥٩٦.

[٥٦١] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٠. ص. ١٥٩.

[٥٦٢] البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ٢. ص. ٨٧. السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١٩٠.

[٥٦٣] القرآن. المائدة ٥: ٢.

[٥٦٤] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١٩٠.

لا يجوز فيه"[٥٦٥]، مُتذكّراً قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ... وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[٥٦٦].

وتسْتَدِلُّ الدِّراسة بما تَقَدَّم عرْضه من الآيات المتعلِّقة بالشَّفاعة على أهمِّيَّة التَوْجيه لهذا المعنى الخطير عند تعليم الصِّغار مفهوم التَّطَوُّع كي لا ينجرفوا من خلال كِفاية المبادَرة في الدِّفاع عن باطلٍ بدَعْوى التَّعاون، وتبْرير الأخطاء للأصدقاء مُتَعلِّلين باسْم الصَّداقة، بل لا بدَّ من إعلاء قيمة اتِّباع الحقِّ في نفوسهم لتكون فوْق كلِّ قيمةٍ، فلا يكونوا أبَداً أبواقاً للباطل، ولا يكون التَّعَصُّب للأصحاب، أو للمصْلحة على حساب قيمة الحقِّ والعَدْل، لأنَّ هذا سيكون تَرْجمةً لما حَذّر النَّبيّ ﷺ منه حين وَصَف التَّعَصُّب بأنَّه جاهليةٌ مُنْتِنَةٌ، حَكَى جَابِرُ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللهُ رَسُولَهُ ﷺ ، قَالَ: مَا هَذَا، فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ..."[٥٦٧]، قد وَصَف النَّبيّ ﷺ تلك الدَّعوة التي دعا بها الأنصاريُّ قوْمَه لينصروه، والمهاجريُّ قوْمَه ليؤازِروه بأنَّها دعوةُ الجاهليَّة، وأنّها منْتِنَةُ الرَّائحة، وكلمةٌ خبيثةٌ قبيحةٌ[٥٦٨]، ولا ينبغي للقَوْم أنْ يستجيبوا لها في نُصْرَة بعضهم على بعضٍ بعد أنْ جاءهم نور الإسلام فأبْطل أخْذ الحقوق بالعَصَبات والقبائل، وجعَل التَّحاكم إلى الأحكام الشَّرعيَّة[٥٦٩]. فالنُّصْرة والشَّفاعة لا تكون في إثمٍ أو مكْروه، وقد قال ﷺ: " انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

[٥٦٥] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٥. ص. ٢٩٥.

[٥٦٦] القرآن. الطور ٥٢: ٢١.

[٥٦٧] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب تفسير القرآن. بَابٌ: قَوْلُهُ: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ... ج. ٦:١٥٤-١٥٥. رقم الحديث ٤٩٠٧.

[٥٦٨] ابن حجر. ١٣٧٩هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ٨. ص. ٦٤٩.

[٥٦٩] النووي. ١٣٩٢هـ. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجّاج*. ج. ١٦. ص.١٣٧.

هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"[٥٧٠]، أي تمنَعه من الظُّلم، فلا تُعينه عليه، فذلك له نُصْرةٌ[٥٧١]، والشَّفاعة نُصْرةٌ وإعانةٌ، فلا ينبغي أنْ تكون في غير حقٍّ.

فالتَطَوُّع في الشَّفاعة له عَلاقةٌ وثيقةٌ بكِفاية التَّفكير النَّاقد، والتَّفكير التَّحليليّ، والاستنباطيّ وكِفاية إدارة المشاعِر، وكِفاية التَّواصُل، وكِفاية تحَمّل المسؤوليَّة. كلُّ هذه الكِفايات يمكِن إكسابُها، ورَفْع مستوى امتلاكها عند المتربّي الصَّغير من خلال طَرْح مفهوم الشَّفاعة الذي يُمثِّل صورةً من صُوَر التَّطَوُّع الرَّاقية.

بعد استعراض بعض المصطلحات التي تَبَنَّتْها الآيات القُرآنيَّة الكريمة في الحَثِّ على مجموعةٍ من القِيَم الإنسانيَّة الرَّاقية السَّامية مثل: الإيثار، والإحسان، وفِعْل الخيرات، والشَّفاعة في الخير، وغيرها، يجد القارئ أنَّها كلُّها قِيمٌ تصُبُّ في محيط قيمة التَّطَوُّع. عندئذٍ لا بدَّ وأنْ يُدْرك المربّي أهمِّيَّة تنشئة الأجيال الصَّغيرة على فَهْم هذه القيمة العظيمة، واستِحْضار أهمِّيَّة العمل بها، واتِّخاذها منْهَجاً في الحياة، لأنَّها مع أخواتها من القِيَم المنشودة ترْتقي بالشَّخصِيَّة المسْلِمة، فتربطها بخالقها، وتُقَوّي الوازع الدِّيني في وِجْدانها، وتُقوّم سلوكها، وتدْفَعها للتَّواصل البَنَّاء مع المحيط ضمن نطاق الأسرة، أو الحيّ، أو الأقران في المدرسة وخارجها، تَواصُلاً يُلَبّي احتياجاتها النَّفسيَّة من شعورٍ بالانتماء دون المِساس باستقلاليتها، وأيضاً دون الانغماس في الانحياز إلى المصلحة الفرديَّة، وجعْلِها فوْق كلِّ اعتبارٍ.

إنَّ ممّا يقع على عاتق المرَبّين داخل الأسرة أو في المدرسة، التَّدريب المبْرَمَج على هذه القِيَم الرَّشيدة، تحت مظلَّة مفهوم التَّطَوُّع لأنَّها متداخلةٌ في كلِّ عمَل خيرٍ يمكن أنْ يؤَسَّس له، خروجاً عن النَّمَطيَّة التي تُصاحِب طَرْح الموضوع، والتي غالباً ما تتمُّ في مناسباتٍ معَيَّنةٍ مثل تقْديم المساعدات للمُعْوِزين في شهر رمضان، أو في أوقات الأزمات، أو زياراتٍ موسِميَّةٍ لمراكز كبار السِّن، أو في حملاتٍ بيئيةٍ لغرْس الأشجار،

---

[٥٧٠] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب المظالم. بَابٌ: أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا. ج. ٣:١٢٨-١٢٩. رقم الحديث ٢٤٤٤.

[٥٧١] ابن حجر. ١٣٧٩هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ٥. ص. ٩٨.

وتنْظيف الشَّواطئ، وهي جهودٌ طيبةٌ لكنَّها لا تُسْمِن ولا تُغْني من جوعٍ من حيث الكِفاية[٥٧٢]، ولا تُحَقِّق ما تَرْنو إليه التَّرْبية الإسلاميَّة، بل ولا التَّرْبية الحديثة بمفهومها العام في تَعزيز قيمة البذْل والعَطاء، والمبادَرة في ذلك لتحقيق استمراريَّة التَّفاعُل الإيجابيّ البَنَّاء مع المحيط المجتمَعي.

كما لا يخفَى دَوْر مفهوم التَّطَوُّع في تفْعيل عددٍ من الكِفايات المهمَّة الضَّروريَّة للحياة الآمِنة وسط ضجيج التَّغيير المستَمِّر والمتَسارع، مثل كِفاية الوَعْي بالذَّات والقُدُرات، وكِفاية الانتماء والتَّواصُل، وكِفاية المبادَرة، وكِفاية التَّفكير النَّاقد، والتَّفكير التَّحليليّ والاستنباطيّ، وغيرها من الكِفايات.

ولو أنَّ ثقافة العمل التَّطَوُّعيّ كانت مغروسَةً في فِكْر ووجدان الشَّباب العربيّ منذ الصِّغَر بطريقةٍ عميقةٍ وموَجَّهةٍ، لما واجَه العمل التَّطَوُّعيّ ضَعْف الإقبال عليه في مرحلة الشَّباب، والعزوف عن الانخراط فيه[٥٧٣]، حيث أشارت الإحصاءات إلى أنَّ ٨٠٪ من الطَّلَبة العَرب يجهلون قيمة العمل التَّطَوُّعيّ بسبب غِياب ثقافة التَّطَوُّع بمفهومها الشَّامل العميق، وتغْليب المصلحة الشَّخصِيَّة على مصلحة الأمَّة[٥٧٤]، و"عَجْز بعض القيادات التَّطَوُّعيَّة عن انتاج خِطابٍ ثقافيٍّ تطوُّعيٍّ قادرٍ على التَّجديد، والفاعِليَّة، والتجاوُب مع مُتَغَيِّرات العصر"[٥٧٥].

وهذا ما تدعو إليه الدِّراسة الحاليَّة، حيث إنَّ التَّدَرُّج المَنْهَج في طَرْح هذه القيمة لدى الصِّغار ينبغي أنْ يحْظَى بدرجةٍ عاليةٍ من الاهتمام.

---

[٥٧٢] مروة عزت عبد الجواد. ٢٠١٥م. استراتيجية مقترحة لتفعيل العمل التَطَوُّعي بجامعة بني سويف كقيمة مضافة. *مجلة كلية التَّرْبية*. جامعة الأزهر. العدد ١٦٤. الجزء الرَّابع. أكتوبر. ص ٢٣٨-٢٣٩.

[٥٧٣] السعيد محمود السعيد عثمان وإسماعيل خالد علي المكاوي. ٢٠٢٠م. "ممارسة العمل التَطَوُّعي لدى طلاب الجامعات في مصر- دراسة ميدانية". *مجلة كلية التَّرْبية*. جامعة الأزهر. عدد (١٨٥، الجزء الثَّالِث). يناير. ص. ٢٧٥.

[٥٧٤] المصدر نفسه. ص. ٢٢٩

[٥٧٥] المصدر نفسه.

٣،٣ المبحَث الثَّاني: نماذِجُ من صُوَر التَّطَوُّع في القُرآنِ الكَريم وكِفايات تَوْجيه الصِّغار نَحْوَه:

تَقَدَّم الحديث في الجزء الأوَّل من هذا الفصل عن الآيات القُرآنيَّة التي ورَد فيها لفْظ التَّطَوُّع صَراحةً، وكانت آياتٍ محدودةَ العدد، ثمَّ تَبع ذلك ذِكْر آياتٍ أخرى حَثَّت على التَّطَوُّع في سياقاتٍ مختلفةٍ باستعمال مفرداتٍ جديدةٍ مثل: الإحسان، والإيثار، والإقراض وغيرها، إلَّا أنَّ المتَتَبّع لمفهوم التَّطَوُّع في القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات التي تُجسِّده عمليّاً، وتُقَدِّمه في صُوَرٍ مختلفةٍ، ومواقف متنوّعةٍ، ونماذج متعدِّدةٍ، تَصْدر عن إنسٍ وجِنٍ وحيوانٍ، ولا غرابة في ذلك، فالله عزَّ وجلَّ يضرب للنَّاس الأمثال لتقريب الصُوَر، وليتفكَّروا فيها، ويستلهِموا منها العِبَر، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٥٧٦]، وقال تعالى: ﴿.. وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٥٧٧]، كما أرْشَدهم سبحانه وتعالى من خلال القَصَص القرآني في أسلوب إعجازٍ وإبداعٍ إلى ما يُعينُهم على الاستقامة، وينأى بهم عن عاقبة الخُسران والنَّدامة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[٥٧٨].

فمادَّة القَصَص القرآني تُعد أداةً تربويةً هامةً للتَّعليم والتَوْجيه بما يَدْعَم ويَعِظ الفرد والجماعة على حدٍّ سواءٍ[٥٧٩]، تُسْتَنْبَط منها الكثير من المفاهيم الإيمانيَّة، والاستراتيجيات التَّربويَّة، والمهارات الحياتيَّة التي فيها حَلٌّ لكثيرٍ من المشكلات التي تواجه الإنسان في كلِّ عصرٍ ومكانٍ، فتلك المادَّة القَصَصيَّة صورةٌ من صُوَر الإعجاز. قال تعالى مخاطِباً نبيَّه الكريم ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾[٥٨٠]. وقد يأتي التَوْجيه القرآنيّ أحياناً بصورة

---

[٥٧٦] القرآن. العنكبوت ٢٩:٤٣.

[٥٧٧] القرآن. الحشر ٥٩:٢١.

[٥٧٨] القرآن. يوسُف ١٢:١١١.

[٥٧٩] الغزالي، مُحَمَّد. ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧ م. *المحاور الخمسة للقرآن الكريم*. مصر: دار تواصل الجزائرية المصرية للكتاب. ص.٩٦.

[٥٨٠] القرآن. طه ٢٠: ٩٩-١٠٠.

رسائل ربَّانيَّةٍ مباشِرةٍ تمتدِح الذين يسارعون بالخيرات ويأتون بالمكرُمات، وتُبشِّرهم بعظيم الثَّواب، قال سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾[٥٨١]، وتَعِدُ بالحَسَرات مَن يَبْخَل ولا يتَّخِذ العَطاء منْهَجاً في الحياة، قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾[٥٨٢].

وفيما يأتي استِحضارٌ لبعض الآيات الكريمة التي برَزَت مفهوم التَّطَوُّع في مواقف مختلفةٍ تبايَنَت في طبيعة التَّطَوُّع: في أمْر خيرٍ كان أم في أمْر شرٍّ، وفي صورة التَّطَوُّع: قولاً كان أم فِعْلاً، وفي جِنْس المتَطَوِّع: من الإنس كان أم من الجِنّ أم من الحيوان. ولَعَلَّ خَيْر بدايةٍ تكون في استعراض بعض صُوَر التَّطَوُّع التي حدَثَت في حياة أكْرَم خَلْق الله عزَّ وجلَّ من بني آدم عليه السَّلام، وهُم الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام مما حكاه القرآن الكريم، حيث تكْشِف السُّطور الآتية صُوَراً ونماذج من التَّطَوُّع حَصَلَت في حياتهم الشَّريفة، سواءٌ كان التَّطَوُّع إيجابيّاً، ويُقصَد به التَّطَوُّع في الخير، أو كان التَّطَوُّع سلْبيّاً ويُقصد به التَّطَوُّع في الشَّرّ.

وتؤكِّد الدِّراسة الحاليَّة أهمِيَّة الإشارة إلى الدروس المستفادة من هذه القَصص، وأيضاً أهمِيَّة استخراج الكِفايات منها وطَرْحِها للمتَرَبّي الصَّغير بأسلوبٍ يتناسب مع واقع الحال والأعْمار التي يتمُّ التَّعامل معها، فالأساليب تتَعَدّد بَيْن سَرْد القصَّة وتمثيلها، أو تَوْجيه مباشِرٍ للقيمة التي تَحْمِلها، أو استثمار شَغَف الصِّغار ووَلَعِهم بالفضاء الافتراضي (الانترنت) فيُطْلَب منهم كتابة بَحْثٍ عنها، أو عمَل فيديو قصيرٍ يتَمَحْوَر حَوْلها، أو تمثيلها فَنيّاً أو أدَبيّاً، وهذ الأمْر هو أحَد أساليب التَّعليم الحديثة، وشَكْلاً من أشكال التَّعلُّم الفعّال الذي

---

[٥٨١] القرآن. يونس ١٠:٢٦.

[٥٨٢] القرآن. مُحَمَّد ٤٧:٣٨.

يتمَرْكَز حوْل المتعَلِّم[٥٨٣]، فلا يكتفي بجَعْل المتعَلِّم متلَقِيّاً للمعلومة، بل يكون مساهِماً فيها، ومشارِكاً فعّالاً في إيجادها وتَعَلُّمها من خلال البحث، وتحْفيز التَّفكير في التَّحليل والاستنباط.

كما يمكن تعليم القيمة أو الكِفاية المستفادة من القصَّة بممارستها ممارَسَةً عمليَّةً من خلال وقائع الحياة وأحْداثها اليوميَّة، فالممارسة أوْقَع وأبْلغ في إيصال التَوْجيه القِيَمي المراد. وقد يكون التَوْجيه للقيمة أو الكِفاية المستفادة من خلال أساليب أخرى يتَفَتَّق عنها ذِهْن المربّي بحسَب ظرف الزَّمان والمكان الذي يُعالِج فيه الحَدَث.

وتُشير الباحثة إلى أنَّه لا توجد طريقةٌ واحدةٌ للتَوْجيه فيما يتعَلَّق بالقِيَم والكِفايات من الممكن تطبيقها في تعليم جميع الصِّغار، لأنَّ أساليب التَوْجيه في العمليَّة التَّربويَّة، وكذلك التَّدريس الفَعَّال تتداخَل فيها عناصر عدةٌ، منها ما هو خاصٌّ بالمعلِّم، وآخَر خاصٌّ بالموقف التَّدريسيّ، وثالثٌ متعَلِّقٌ بالوسائل المتاحة والأنشطة التي تضْمن التَّعلُّم الجيِّد، وتحقِّق النتيجة المرْجُوَّة، لذلك لا يمكن القول بأفضليَّة طريقةٍ على أخرى[٥٨٤]، فطِفْل القرية تختلف معطياته وأنماط تَعَلُّمه، وقابليَّته وظروفه المحيطة عن طفل المدينة، وأطفال البلاد المتقدِّمة تختلف الوسائل التي تُؤثِّر فيهم عن أطفال الدُّول النَّامية، ولذلك يجب أنْ تُؤخَذ هذه المتغيِّرات بعَيْن الاعتبار عند طَرْح المفاهيم والكِفايات لغَرَض تحقيق أكبر قَدْرٍ من الفائدة والتَّأثير[٥٨٥].

لا رَيْب في تَساوي العلوم الأساسيَّة التي ينبغي أنْ يتَلَقَّاها المتربّون الصِّغار من حيث طبيعتها كالحساب، واللُّغَة، وعلوم الطَّبيعة، وغيرها، لكن فيما يخُصُّ وسائل تَعَلُّم القِيَم والكِفايات فالأمْر يحتاج

---

[٥٨٣] عبير مختار شاكر محمود. ٢٠١٢م. "التعليم عن بُعد والتفاعل الاجتماعي". *مجلة دراسات عربية في التَّرْبية وعلم النفس*. السعودية. العدد ٢٤. الجزء الثَّاني. إبريل. ص. ٥٦٦.

[٥٨٤] مُحَمَّد محمود ساري حمادنه وخالد حسين مُحَمَّد عبيدات. ٢٠١٢. مفاهيم التدريس في العصر الحديث. طرائق..أساليب..استراتيجيات. إربد: عالم الكتب الحديث. ص. ٥.

[٥٨٥] أماني مُحَمَّد عبد العزيز عوض و أماني سمير عبد الوهاب ودعاء ربيع مُحَمَّد السيد عوض. ٢٠٢٢. "تصميم بيئة تدريبية تكيفية وفقاً لنمطي التعلم (تقاربي، تباعدي) لتنمية مهارات إنتاج الاختبارات الالكترونية واستخدامها لدى معلمي المرحلة الثانوية". *مجلة كلية التَّرْبية* – جامعة دمياط. المجلد ٣٧. العدد ٨٠٠٢. ص ٨. https://jsdu.journals.ekb.eg/issue_٣٠٥١٨_٣٠٥٤١_.html

إلى إمعان تفكيرٍ في اختيار الوسيلة المناسبة، والطَّريقة الأكثر جَذْباً لانتباه الصِّغار، والأعْمَق أثراً بحسَب الأجواء المجتمَعيَّة والبيئيَّة المحيطة. إلَّا أنَّه يجْدر التَّأكيد أيضاً على حقيقةٍ أشارت إليها الدِّراسات الحديثة مفادُها أنَّ ليس كلّ الصِّغار على مستوىً واحدٍ من الذَّكاء بالرَّغم من أنَّ الجميع لديهم ذكاءٌ[٥٨٦]، لأنَّ نوعية الذَّكاء الذي يتفَوَّق به طِفلٌ عن آخَر تختلف، وإنْ كانا في نفْس المرحلة العُمريَّة والصَّفيَّة، سواء على مستوى الأسرة أو الصَّف، كما أنَّ المهارة التي يُتْقنها كلُّ واحدٍ من المتربِّين الصِّغار تختلف أيضاً، ولكن هناك إجْماعٌ على أنَّ هذا الاتقان، وهذا التَّفَوُّق يحتاج إلى رعايةٍ، واهتمامٍ، وتدريبٍ، ومتابعةٍ، وصبرٍ من قِبَل المرَبِّين.

٣،٣،١ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ آدم عليه السَّلام

حين استكبر إبليس عن الامتثال لأمْر الله تعالى بالسّجود مع الملائكة الكرام عنْد خَلْق آدم عليه السَّلام: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[٥٨٧]، استحقَّ بتلك المعصِية العقاب الشَّديد، لكنَّه طَلَب من الله تعالى أنْ يُنظِره إلى يوم الدِّين مُقْسِماً على الانتقام من آدم عليه السَّلام، وذرِّيّته حِقْداً وعَداوةً.

وإذا كان التَّطَوُّع في معناه العامّ ما هو إلَّا تَرْجمةً عمليَّةً تَجْمع بين الاستجابة (الطَّاعة) لدافعٍ ما، والاستطاعة (المقْدِرة)، والرَّغبة الذَّاتيَّة (الدَّافِع الذَّاتيّ) فإنَّه بِناءً على ذلك تَصِف الدِّراسة الحاليَّة ما قام به إبليس عَمَلاً تطَوُّعِيّاً، ولكنَّه لم يكن في خيرٍ، فجاءت الآيات الكريمة في أكثر من سورةٍ قُرآنيَّة تَحكي مبادَرة الشَّيطان، وتَطَوُّعه لِغِواية النَّاس أجمعين، وكانت البداية والمبادَرَة الأوْلى حين وسْوَس لآدم عليه السَّلام

---

[٥٨٦] بهاء الدين، ياسر. ٢٠١٧م. *الذَّكاءات المتعددة واكتشاف العباقرة*. جمهورية مصر العربية– القاهرة: دار عالم الثقافة. ص. ٩.

[٥٨٧] القرآن. البقرة ٢:٣٤.

وزوْجه ليُغْرِيَهما بالمعصية، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾[٥٨٨]، ثمَّ خدَعَهما بالقَسَم إنَّه لهما من النَّاصِحين[٥٨٩] ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[٥٩٠]، ومنذ ذلك الحين توالت مبادَرات الشَّيطان وجنوده لتزْيين المعصية لذُرِّيَّة آدم عليه السَّلام، وقد تَفَنَّن في ذلك أيّما تَفَنُّن، قال سبحانه وتعالى: ﴿.. وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٥٩١]، ودَفَعَته شِدَّة العداوة والبغضاء لأنْ يَنذر نفْسَه، ويَحشد جُنْده لهذه المهَمَّة الدَّنيئة، حتَّى عَبَّر عن ذلك بالقَسَم بعِزَّة الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[٥٩٢]، فلا يَدَّخِر هو وجنوده وُسْعاً في إضلال بني آدم وغوايتهم، وحَرْفهم عن الطَّريق المستقيم بكلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، حيث ذَكَرت الآيات قَوْل إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[٥٩٣].

فأضْحَى فِعْل الشَّيطان وزَبانيته في إغواء الآخَرين تَطَوُّعاً مذموماً للفساد والإفساد من جهةٍ، واستجابة العُصاة ممَن يطاوِعونه ويتَّبعونه فيبْذلون طَواعيةً من أوقاتهم وأموالهم وطاقاتهم ما يوغِل بهم في طريق الفساد والضَّلال نَوْعاً مذموماً من التَّعاون على الإثْم والعُدوان من جهةٍ أخرى، وقد نهى المولى سبحانه وتعالى

---

[٥٨٨] القرآن. الأعراف ٧: ٢٠.

[٥٨٩] الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ١٠. ص. ١٠٩. القرطبي. ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج.٧. ص. ١٧٩.

[٥٩٠] القرآن. الأعراف ٧: ٢١.

[٥٩١] القرآن. النَّمْل ٢٧: ٢٤.

[٥٩٢] القرآن. ص ٣٨:٨٢.

[٥٩٣] القرآن. الأعراف ٧: ١٦–١٧.

عباده عن مثل ذلك بقوله: ﴿.. وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾[٥٩٤].

وقد ذَكَر القرآن الكريم ما يؤَكِّد استجابة العُصاة الطَّوْعية لدعوة الشَّيطان، حين عَرَضت الآيات مَشْهداً من مشاهِد التَّخاصُم يوم القيامة بين العُصاة وبين الشَّيطان، إذ دَفَع هذا الأخير وجود أيّ بُرْهانٍ أو سُلْطانٍ له عليهم سِوى أنَّه دعاهم فاستجابوا له طائعين[٥٩٥]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾[٥٩٦]، فكان عاقبة الجميع أنَّهم في العذاب مُحْضَرون.

فإذا ما تمَّ عَرْضُ هذه القصَّة بأسلوبٍ شَيِّقٍ للصِّغار، واستِثارة الخيال لدَيْهم بشَرْحٍ وافٍ عن الآثار التي تَلْحَق كلّ مَن تَبِع خُطُوات الشَّيطان، تَبيّن لهم خُطورة هذا العَدو الذي ينبغي الحَذَرُ منه، ومخالَفَتُه لأنَّه يدعو إلى ما يُغْضِب الرَّحمن.

وتؤَكِّد الدِّراسة أنَّ في تَوْجيه هذه القصَّة للصِّغار دروسٌ كثيرةٌ، وعِبَرٌ مفيدةٌ، حيث ينْبغي الحَذَر، فليس كلّ مَن تَطَوَّع بالنَّصيحة ولَبِس لِباس المصْلِحين يُعْطَى السَّمْع والطَّاعة، ويكون جديراً بالاتِّباع، فأعوان الشَّياطين في هذا الزَّمان كُثُرٌ، كما أنَّ أمراض القلوب كثيرةٌ أيضاً، فهناك الغَيْرة والحسَد كما اتَّضح من موقف الشَّيطان تجاه آدم عليه السَّلام، وهناك الطَّمَع والجَشَع، وهناك التَّعالي والكِبْر. ولذا تشير الباحثة إلى كفايتين مهمَّتَيْن يمكن استخلاصهما من هذه القِصَّة وتقديمهما للصِّغار:

---

[٥٩٤] القرآن. المائدة ٥: ٢.

[٥٩٥] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*–إحياء التراث. ج. ٣٦. ص. ١٢١٥. ابن كثير. ١٩٩٩م. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٤. ص. ٤٨٩.

[٥٩٦] القرآن. إبراهيم ١٤: ٢٢.

- كِفاية التَّنْبيه على استعمال العقْل والنَّظر فيما يبدو أنَّه تَطَوُّعٌ في جَلْب الخير للبَشَر يُحفِّز لدَى الصِّغار مهارة التَّفكير النَّاقد، والتَّحَرِّي قَبْل اتِّخاذ قرار الاستجابة، وهذه المهارة هي واحدةٌ من مهارات القرْن الحادي والعشرين التي ينبغي أنْ يوليها المرَبّون عنايةً ورعايةً لأنَّها تُنَمِّي عند الصِّغار مَلَكَة التَّحْليل والتَّقْويم لمدى مِصْداقيَّة، وحَجْم الادِّعاءات والاعتقادات التي يواجِهونها، وتجْعَلهم قادرين على الاستقراء والتَّحْليل والاستدلال والتَّقْييم قَبْل إصْدار الحُكْم على أمْرٍ ما، أو إيجاد حَلٍّ لمشكِلةٍ ما[٥٩٧]، ممّا يرْفع لدَيهم مستوى الوَعْي واليَقَظة، ويُنَمّي لديهم الصِّدْق مع الذَّات، ومعرفة ما لديهم من إمكانِيَّاتٍ، سواء إيجابيَّةً فيُحافِظوا عليها، أو سَلْبيَّةً فيتخَلَّصوا منها[٥٩٨].
- كِفاية إدارة المشاعِر درْسٌ آخَر، وكِفايةٌ أخرى يوجِّهُها المربّي للمتَرَبّي الصَّغير من هذه القِصَّة يحثُّه فيها على الابتعاد عن مشاعر الغَيْرة والحَسَد واليَأْس، وألَّا يَنْجرِف خَلْف انفعالاته، مثلما فَعَل إبليس حين أحَسَّ بالحَسَد والغَيْرة من آدم عليه السَّلام لَمَّا رأى أنَّ الله كَرّمه، فأبَى الانصياع لأمْر الله بالسُّجود، فانْفَعَل، وغَضِب، ولم يتَمَكَّن من إدارة مشاعره بالحُسْنى، فدفَعَه إحساسُه إلى التَّطَوُّع في الشِّر، فكانت النتيجة أنْ غَضِب الله عليه، ولَعَنَه إلى يوم الدِّين. هنا يتعلَّم المترَبّي الصَّغير ألَّا يدَع شعورَ الغَيْرة والحَسَد من الآخرين يسَيْطِر عليه إنْ تَفَوَقوا في أمْرٍ ما، أو تَميَّزوا، فكلُّ مخلوقٍ قد وهَبَه الله عزَّ وجلَّ من النِّعَم والخِصال ما يجعَلُه مختلِفاً عن الآخَرين، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[٥٩٩]، فالتَّقوى والصَّلاح هي مِعْيار التَّفاضُل بيْن البَشَر عند الله، والله يعْلَم السِّر

---

[٥٩٧] عفاف عليوي سعد الشمري وهياء معجب مهدي آل رشيد. ٢٠٢١. "التَّفكير الناقد". *المجلة العربية للنشر العلمي AJSP*. العدد ٢٩. آذار. ص. ٦٥٠

[٥٩٨] المصدر نفسه.

[٥٩٩] القرآن. الحجرات ٤٩:١٣.

والعَلانية، وهو سبحانه الخبير بدَوافع النُّفوس، وخَلَجات القلوب. والموَفَّق مَن كان سِرّه كعلانيته، وقَلْبه سليم من الحقد والحسد، والمشاعر السَّقيمة، فالجوارِح تَبَعٌ تأتَمِر بما استوْطن في القلب، فسلامة القلب باعثٌ على الأعمال الصَّالِحة الظَّاهرة[٦٠٠]، لذلك يُنبَّه الصَّغير إلى هذا الأمْر الخطير.

٣،٣،٢ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ صالحٍ عليه السَّلام

حكى القرآن الكريم في أكْثر من موْضعٍ قصة ثمود قوم نبيّ الله صالحٍ عليه السَّلام الذين بالغوا في كُفْرِهم وطُغْيانهم وعَدائهم لنَبيّهم الكريم عليه السَّلام. وإنَّ من أشْنع ما فَعلوه أنَّهم عَقَروا ناقة الله التي كانت لهم آيةً من الله تَشْهد بصِدْق نُبُوَّة النَّبيّ صالح عليه السَّلام، فانتدبوا أشْقاهم، رَغم تحذير نَبيّهم لهم، فأقْدَم ذلك الشَّقيّ تَطَوُّعاً على هذه الفَعْلة النَّكْراء، ولأنَّهم ارتضَوا فَعْلته تلك أُسنِد الفِعْل إليهم جميعاً[٦٠١]، فاستحَقُّوا جميعاً ما نَزَل بهم من العذاب جزاءً عادلاً لذلك الطُّغيان، قال تعالى في سورة الشمس: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾[٦٠٢].

ويُستفاد من هذه القصَّة عند تَوْجيهها للصِّغار كما تُوَضِّح الدِّراسة الحاليَّة:

- التَّنْويه إلى وجود نوعَيْن من التَّطَوُّع: تطوُّعٌ في عَمَل الخير، وآخرُ في عَمَل السُّوء، فالأوَّل محمودٌ ومستَحَبٌ وعليه الثَّواب، أمَّا الآخَر فهو من عمَل الشَّرّ الذي يُورِث صاحبه الإثْم والذَّم والعِقاب. فلا يكونوا أداةً للشَّرّ مبادِرين فيه، وداعِين إليه.

---

[٦٠٠] ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ١٩. ص. ١٥٠.

[٦٠١] الشوكاني. ١٤١٤ هـ. *فتح القدير*. ج. ٥. ص. ٥٤٨. الرازي. ١٤٢٠ هـ. *مفاتيح الغيب= التفسير الكبير*. ج. ٣١. ص. ١٧٩.

[٦٠٢] القرآن. الشمس ٩١: ١١-١٤.

- كما أنَّ القصَّة تُعَلِّمهم كِفاية إدارة المشاعر: فالعناد والتَّكبُّر عن اتِّباع الحقِّ رغم وجود الآيات الظَّاهرة، والعلامات الباهِرة قد يقود الإنسان إلى أعمال التَّطَوُّع بالسُّوء لأجْل المكابَرة، وإثبات الذَّات بالباطل على حساب الحقِّ، فناقة نبيّ الله صالحٍ عليه السَّلام كانت آيةً واضحةً باهرةً تدُلُّ على أنَّه مُرسَلٌ من ربِّ العالمين، لكنَّ مَرَض الكِبْر في القلوب دَفَع أصحابه إلى الإنكار، والتَطَوُّعِ في عملٍ جَلَب للجميع الخِزْي والدَّمار.

إنَّ التَّأكيد على هذه المعاني من الأهمِّيَّة بمكان أنْ يجعل المتَرَبِّي الصَّغير مع التَّقدُّم في ممارساته في الحياة، واكتساب الخِبرات قادراً على نَبْذ أيّ مبادَرةٍ للتَطَوُّع في عَمَل السَّيِّئات، حريصاً على تَجَنُّب العَثَرات، بعيداً عن الاستجابة للمُغرَيات (كما استجاب الذي عَقَر النَّاقة لإغراءات قوْمه)[٦٠٣]، مُتَسَلِّحاً بالوَعْي لإنكار المنْكَرات، وإلَّا فإنَّ السُّكوت على أصحاب الغِواية والضَّلالات يُعرِّض الجميع للعقوبة الرَّبانيَّة، تماماً كما حَدَث لثمود الذين رَضُوا بفِعْل أشقاهم حين أقْدَم على الجريمة النَّكراء[٦٠٤].

- وهذا بحسَب رؤية الدِّراسة الحاليَّة ترجمةٌ لمهارة وكِفاية التَّفكير النَّاقد التي ينبغي على المرَبِّي أنْ يوَجِّه أذهان الصِّغار إليها، والتَّدريب عليها لأنَّها من الكِفايات التي تُجنِّبهم المزالِق، وتحفَظهم من أنْ يكونوا إمَّعاتٍ يجرِفهم السَّيْل حيثما سار، فيغْرَقون ويُغرِقون مَن خَلْفهم. فمِن مميِّزات التَّفكير النَّاقد أنَّه يحرِّر المتعَلِّمين من التَّبَعيَّة للآخَرين، ويعَلِّمهم التَّوازن بين التَّفكير العقليّ المنطقيّ والانقياد للشّعور، ويُرشدهم إلى طَرْح التَّساؤلات، والتَّفكير في المسبِّبات، وحُسْن الإصغاء للآخَرين، والاستفادة من تجاربهم والخِبرات، والتَّوصُّل إلى الاستنتاجات، ثمَّ اتِّخاذ القرارات على بصيرةٍ[٦٠٥].

---

[٦٠٣] ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ٣٠. ص. ٣٧٣.

[٦٠٤] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٦. ص. ١٥٨٨.

[٦٠٥] عفاف عليوي سعد الشمري وهياء معجب مهدي آل رشيد. ٢٠٢١. "التَّفكير الناقد". *المجلة العربية للنشر العلمي AJSP*. العدد ٢٩. آذار. ص. ٦٥٤

٣،٣،٣ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ إبراهيم عليه السَّلام

أبو الأنبياء إبراهيم عليه السَّلام يَضرِب للأمَّة مَثلاً طيِّباً في إكرام الضَّيف تَطوُّعاً، حينما جاءته الملائكة في هيئةٍ بشَريَّةٍ وهو منْكِرٌ لهم[٦٠٦]، فاستقبلهم بحفاوَةٍ وإكرامٍ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾[٦٠٧]، وأشار العَلَّامة ابن عاشورٍ إلى أنَّ الفاء في قوله تعالى (فما لَبِث) تُفيد التَّعْقيب للدَّلالة على الإسراع في إكرام الضُّيوف، فتَعْجيل القِرى للضُّيوف سُنَّةٌ عربيَّةٌ أصيلةٌ[٦٠٨]، ووردت القصَّة في موْضعٍ آخَر، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٦٠٩]، وورَد عن يَحْيَى بْن سَعِيدٍ أنَّه سمع سَعِيد بْن المسَيّب يقول:"كان إبْرَاهِيم الخليل أوَّل مَن أضاف الضَّيف"[٦١٠].

وهنا تُشير الدِّراسة الحاليَّة إلى أهمِّيَّة تَعْليم الصِّغار كِفاية تواصُليَّة تُعْنى بآداب الضِّيافة، وقيمة إقْراء الضَّيف، وحُسْن الاستقبال، والمبادرة في الإكرام، وهي من الكِفايات التَّواصُليَّة، وأنَّ هذه الخَصْلة هي سَمْتُ الصَّالحين، وهي من التَّطَوُّع المحمود، ولا يتَعَيَّن مُساءلة الضَّيف عن هُوِيَّته قبل المسارعة في إكرامه إنْ لم يُصَرِّح بنفْسه بِدايةً، ويُفصِح عن ذلك، هذا ما دَلَّ عليه وَصْف ضيوف إبراهيم عليه السَّلام بأنَّهم (قومٌ

---

[٦٠٦] القشيري. د. ت. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. ج. ٢. ص. ١٤٥. ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ١٢. ص. ١١٧.

[٦٠٧] القرآن. هود ١١: ٦٩.

[٦٠٨] ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ١٢. ص. ١١٧.

[٦٠٩] القرآن. الذاريات ٥١: ٢٣-٢٧.

[٦١٠] ابن حبان، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، أبو حاتم الدارمي البستي. د. ت. *روضة العقلاء ونزهة الفضلاء*. تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الكتب العلمية. ص. ٢٥٨.

مُنْكَرون)، أيْ لَمْ يعرِف هُوِيَّتهم، ومع ذلك سارع إلى إكرامهم، وخِدْمتهم بنفْسه، ومعه زوجته، وهذا ما دَلَّ عليه وَصْف (المكْرَمين)[٦١١].

وهنا أيضاً تَبْرز قيمة خُلُق التَّواضع مع التَّرحيب والبشاشة في استقبال الضُّيوف، على عكْس ما يَشيع بين جيل الصِّغار في هذا العصر من التَّهَرُّب من استقبال الضُّيوف، أو التَّثاقل، متعَلِّلين إمَّا بالتَّعب، أو التَّشاغُل بالواجبات المدرسيَّة، أو غير ذلك من الأعْذار المفْتَعَلة[٦١٢]، فَضْلاً عن التَّرَفُّع عن تقديم الخِدمة للزَّائرين، إمَّا من باب الاستعلاء، أو من باب هَيْبة المخالَطة، وافتقارهم مهارة الذَّكاء الاجتماعيّ.

ولا بدَّ من التَّنْبيه إلى أنَّه على الرّغم من أنَّ آداب الضِّيافة التي تدعو إليها الآية محمودةٌ مبَجَّلةٌ، إلَّا أنَّ إشْراك الصِّغار في استقبال الضُّيوف والتَّرحيب بهم ينبغي أنْ يكون تحت إشراف الوالدَيْن، أو مَن يقوم مقامَهما، وذلك احترازاً من وقوع الضَّرَر، حيث إنَّ الصِّغار تَنْقصهم الخِبرة والقُدرة في مواجهة أصحاب النَّوايا السَّيِّئة، بخاصَّةٍ في ظِلِّ العوْلمة اليوم، حيث التَّفَنُّن في الإغواء والإغراء لتشويه عالَم الطُّفولة، والانْقضاض على ثوابت القِيَم التَّربويَّة والأخلاقيَّة بحُجَّة التَّحَرُّر من الجمود والرَّجعيَّة، وتوْسيع مساحة الحُرِّية، فعمليَّة التَّنْشِئة في الواقع المعاصر تُواجِه مشاكل وتحدِّياتٍ جَمَّةً تجاوزت ضوابط العُرْف التي كانت في المجتمعات المحافِظة ذات المناخ الاجتماعيّ الذي يحفَظ للأسرة دَوْرها، وللمُعَلِّم دَوْره وقَدْره، ولبَقيَّة مكَوِّنات المجتمع كالقريب والجار أدْوارهم.

لذا تؤكِّد الدِّراسة الحاليَّة على ضرورة وأهمِيَّة تعْليم قِيَم الضِّيافة النَّبيلة للصِّغار ضمن ضوابط الحَيْطة والحَذَر ممَّا قد يتَسَبَّب عنه الضَّرَر في حال غِياب رَقابة الوالدَيْن، أو المرَبِّين في مثل هذه المواقف.

---

[٦١١] الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ٢٢. ص. ٤٢٤. الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٤. ص. ٤٠١.

[٦١٢] العوا، مُحَمَّد سليم. ٢٠١١. *بين الآباء والأبناء.. تجارب واقعية*. الطبعة السابعة. الجيزة: دار نهضة مصر للنشر. ص. ٦٩.

٣،٣،٤ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ لوطٍ عليه السَّلام

بعد تلك الضِّيافة الكريمة من إبراهيم عليه السَّلام، توَجَّه الملائكة الكرام في هَيْئة بشَرٍ حِسانٍ إلى ابن أخيه لوطٍ عليه السَّلام، فأراد أنْ يُكْرمهم وهو لا يعْلَم حقيقتهم الملائكيَّة، وأنَّهم رُسُل الله إليه، ولكنَّه خشي عليهم من قومه الذين يأتون فَواحش ما سَبَقَهم إليها أحَدٌ من العالَمين، وسيُضْطَرّ إلى المدافعة عن ضيوفه[٦١٣]، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾[٦١٤]. وقد امتدح القرآن الكريم مَوْقف لوطٍ عليه السَّلام في حُزْنه وقَوْله أنَّه يومٌ عَصيبٌ، لأنَّه عليه السَّلام شَعَر بذلك الحزن خَوْفاً على الضُّيوف ممّا قد يَلْحقهم من أذى قَوْمه، حسبما ذَكَر القُشيري: " فذلك الحزن كان لحَقِّ الله لا لنَصيبٍ له، أو حظٍّ لنَفْسه، ولذلك حُمِد عليه، لأنّ مُقاساة الحزن لحَقِّ الله محْمودةٌ"[٦١٥]. ولمْ يعلم بخبر الضُّيوف إلَّا أهل بيته عليه السَّلام، ولكنَّ الخبر تَسَرَّب إلى القوم عن طريق امرأته[٦١٦] التي بادَرَت متطَوِّعةً بمبادرَة سوءٍ، فنَقَلَت الخبر إلى القَوْم المفسدين الذين هُرِعوا إليه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾[٦١٧]، فطَمْأنَتْه الملائكة بألّا يَفْزَع، فسيُحيق بهؤلاء المفْسدين عذابٌ عظيمٌ، وسيكون وأهْل بيته من النَّاجين إلَّا امرأته ستهلك مع القوم الهالكين[٦١٨]، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا

---

[٦١٣] الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ١٢. ص. ٤٩٤

[٦١٤] القرآن. هود ١١:٧٧.

[٦١٥] القشيري. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. ج. ٢. ص. ١٤٨.

[٦١٦] الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ١٢. ص. ٤٩٦. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل. ٢٠٠١م. قصص الأنبياء. تحقيق: محمود بن الجميل مع تعليقات مُحَمَّد ناصر الدين الألباني. القاهرة: مكتبة الصفا. ص. ١٤٩.

[٦١٧] القرآن. هود ١١:٧٨.

[٦١٨] الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ١٨. ص. ٣٩٥. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٢. ص. ٥٨٤. السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٣٨٦

مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾﴾[٦١٩]، وقد وَصَف القرآن الكريم ما قامت به تلك المرأة طَواعيةً بأنَّه خِيانةٌ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا ...﴿١٠﴾﴾[٦٢٠]، حيث جاء في كُتُب التَّفسير[٦٢١] أنَّ الخيانة من امرأة لوطٍ عليه السَّلام كانت لأجْل إعْلامِها قومها بأضْياف زوجها، فعَدَّ القرآن الكريم هذا التَّطَوُّع منها بعَدَم حِفْظ أسرار بيتها وأمانة زوجها خيانةً تَسْتوجِب العِقاب.

في هذه القصَّة تُبيّن الدِّراسة الحاليَّة كفايَتَيْن جديدَتَيْن يتعلَّمهما الصِّغار بالإضافة إلى ما تَقَدَّم ذِكْره في قصَّة نبيّ الله إبراهيم عليه السَّلام عن كِفاية التَّواصُّل الاجتماعيّ من خلال آداب الضِّيافة:

- الكِفاية الأوْلى تَتَعَلَّق بإدارة المشاعر، حيث بَرَزَت في موضِعَيْن:

- الموْضِع الأوَّل: حين صَوَّرَت الآية حُزْن نبيّ الله لوطٍ حينما عَلِم بأمْر أضيافه، فحُزْنه كان لأجْل خَوْفه عليهم من ضَررٍ سيَلْحقهم بسبب عادات قوْمه السَّيِّئة وخُبْثهم، وأنَّه سيكون مُضْطَراً للدِّفاع عنهم[٦٢٢]، ويخاف أنْ يَعْجَز عن المقاومة والدِّفاع[٦٢٣]، فكان تَوْجيهه عليه السَّلام لمشاعِره تَوْجيهاً إيجابياً، إذْ اتَّخذ قراره بالدِّفاع عن أضيافه، ومُحاجّة قَوْمه دون أنْ يَسْتسلِم. وهنا يَتَعَلَّم الصَّغير فَنَّ إدارة المشاعر، والتَّحَكُّم فيها، فيَجْعل مشاعره تدَوْر حيثما دار الشَّرْع، فالشُّعور بالغضب يكون مَحْموداً حين يكون انتصاراً لِلْحَقِّ، ونُصْرةً للمَظلوم، وقد يكون الانفعال مَذموماً حين يكون للهوى، أو للمَصْلَحة الشَّخصِيَّة على

---

[٦١٩] القرآن. هود ١١:٨١

[٦٢٠] القرآن. التحريم ٦٦:١٠

[٦٢١] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٣٠. ص. ٥٧٥. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٥. ص. ٣٠٤. القرطبي. ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج.١٨. ص. ٢٠٢.

[٦٢٢] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*-إحياء التراث. ج. ٢. ص. ٤٥٨.

[٦٢٣] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٤١٣.

حساب الحَقِّ. فيَتَعَلَّم المتربِّي الصَّغير ألَّا يَغْضَب إلَّا لله، ولا يَحْزَن إلَّا إذا فاتَتْه فُرْصةٌ لطاعة الله، وهكذا هُم رُسُل الحَقِّ، ودُعاة الخير في النَّاس، يَضْبِطون مشاعرهم وتصَرُّفاتهم بضوابط الشَّرْع محبةً لله وخَشْيَةً له.

- والمَوْضِع الثَّاني: جَسَّدَتْه امرأة لوطٍ عليه السَّلام حين جَعَلَت مشاعِرها في صّفِّ قَوْمها، وهي تَعْلَم ما هُم عليه من مُنْكَرٍ وباطِلٍ ورَذيلةٍ، ولكنَّها آثَرَت أنْ يكون ولاءَها لهم على حِساب ولائها لِلْحَقِّ والفضيلة، ولِزَوْجها النَّبيّ الكريم، وتكيَّفَت مع باطِلِهم، وسَعَت في مساندته وتأييده. وهنا يَتَعَلَّم المتربِّي الصَّغير أنَّ لا وَلاء، ولا مَحَبَّة تعْلو فَوْق المحبَّة لِلْحَقِّ والفضيلة وأهْلِها، فلا انحياز إلَّا لها، ولا ينبغي أنْ تَتَكَيَّف المشاعر مع إقْرار الباطل، وإلَّا فإنَّ العاقِبَة ستكون وخيمةً.

- وأمَّا الكِفاية الثَّانية التي يتَعلَّمها الصِّغار فتَتَعَلَّق بإدارة الذَّات:

حيث يجب أنْ يتَعَلَّم المتربّون الصِّغار معنى الخُصوصِيَّة، وحُرُمات البيوت، وما يَصِحُّ أنْ يُقال، وما لا يَصِّح أنْ يُذاع، فَيَحْفظوا أسْرار البيوت، فلا يُفْشوها، ولا يَتَحَدَّثوا ولو من باب الثَّرْثَرة للأصْحاب عمَّا يَحدث داخل بيوتهم من خلال نَشْر الصّور، وكتابة التَّعْليقات، والإفْصاح عن خُطَطِهم اليَوْمِيَّة وما شابه، فهذا من التَّطَوُّع المسيء، وهو الذي قامت به امرأة نَبيّ الله لوطٍ عليه السَّلام مُخْتارَةً، حين أفْشَت ما كان يجب أنْ تُحافِظ عليه من خُصوصِيَّة زَوْجها وبَيْتها. فحِفْظ الخُصوصِيَّة بات مَطْلَباً هامّاً في زمن العَوْلَمة المفتوح بوسائل تواصُلِه الاجتماعية المختلفة، والتي أدْمَن عليها الصِّغار دون وَعْيٍ، أو إدراكٍ لخطورَتها، بل وحتَّى الكِبار، وأصبحت رغم الفَوائد العَديدة التي تُقَدِّمها بصِفَتها مَصْدَراً من مصادر الإعْلام الجديد، تُشَكِّل خطراً يُهَدِّد كِيان الأُسْرة، ويُلْقي بها في

غَياهِب التَّفَكُّك الأُسَري ،ويَصُبّ في قَلْبِها كثيراً من المشكلات تَمَثَّلَت في خَفْض مستوى الرَّوابط والعَلاقات الأُسَرية نتيجة الانْعزالية، وتعَكّر الأجواء الأُسرية السَّويَّة، ممَّا تَسَبَّب في ارتفاع نِسَب الطَّلاق العالَميَّة[٦٢٤]، وكذلك انْتهاك خُصوصِيَّة الفَرْد في ظِلّ عدَم وجود قوانين وأخلاقيَّاتٍ تَحْكُم هذه الوسائل[٦٢٥]. فكَم من ضَرَرٍ وَقَع بسبب هذا الافْتضاح، والتَّطَفّل المسيء على حياة الآخَرين، وعَدَم مراعاة الآداب العامَّة فيما يَتَعَلَّق بالعَلاقات بشَكْلٍ عامّ، حيث يَتِمّ نَشْر المحتوى السَّيء، والأخبار غير المَوْثَّقة والشَّائعات[٦٢٦]، وأيضاً التَّعَدّي على حقوق المِلْكيَّة الفِكْرِيَّة من أجْل الفَوْز بالسَّبْق الصَّحَفي، أو لأجْل ما يُعتقَد أنَّه من الفُكاهة والتَّسْلية والمرَح[٦٢٧]. فكِفاية تَوْجيه الصِّغار نَحْوَ تَعْليم أهمِّيَّة الحِفاظ على الخُصوصِيَّة، وحِفْظ اللِّسان والجوارح عن نَشْر ما يجِب المحافَظَة عليه تُعَدُّ مهارةً مُهِمَّةً للغاية.

٣،٣،٥ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ يوسُف عليه السَّلام

تُطالِع المتأمِّل في سورة يوسُف مواقفُ متَعَدِّدَةٌ تُجسِّد التَّطَوُّع في صُوَرٍ شَتّى، منها على سبيل المثال موقِف نَبي الله يوسُف عليه السَّلام حين استجاب تَطَوُّعاً لطَلَب سَجينَيْن دخَلا معه السِّجْن، وقد رأى

---

[٦٢٤] خالد أحمد عبد الجواد. ٢٠١٨. " علاقة استخدام وسائل التَّواصُل الاجتماعي بمشكلات الأسرة العربية". *المجلة المصرية لبحوث الإعلام*. المجلد ٢٠١٨. . العدد (٦٤): مايو. ص. ٩٨.
https://ejsc.journals.ekb.eg/article_٨٧٠٥٦_٧e٤٠e٤٩٣٢d١٩٥١٨٥٥٩٢٢٢daf٧٩bc٠e٦٩.pdf

[٦٢٥] عبد الأمير مويت الفيصل وإسراء هاشم سيد. ٢٠١٧. "انتهاك الخصوصية في مواقع التَّواصُل الاجتماعي (بحث مستل)". *مجلة الباحث الإعلامي*. مجلد ٩. العدد ٣٦. ص ٢٣٨. https://doi.org/١٠,٣٣٢٨٢/abaa.v٩i٣٦

[٦٢٦] خالد أحمد عبد الجواد. ٢٠١٨. " علاقة استخدام وسائل التَّواصُل الاجتماعي بمشكلات الأسرة العربية". *المجلة المصرية لبحوث الإعلام*. المجلد ٢٠١٨. . العدد (٦٤): مايو. ص. ١٠٢.
https://ejsc.journals.ekb.eg/article_٨٧٠٥٦_٧e٤٠e٤٩٣٢d١٩٥١٨٥٥٩٢٢٢daf٧٩bc٠e٦٩.pdf.

[٦٢٧] المصدر نفسه. ص. ٢٣٧.

كلُّ واحدٍ منهما في منامه رؤيا، فسألاه ليُعَبِّرها لهما لِما رَأياه منه من حُسْن التَّعامُل[٦٢٨]، وحُسْن العِلْم والفَهْم والحكمة[٦٢٩]، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾[٦٣٠]، فبادَرهما عليه السَّلام بالتَّطْمين، والتَّأكيد على أنَّ ما سيقوله لهما إنَّما هو عن عِلْمٍ آتاه الله إيَّاه[٦٣١]، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٞ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾[٦٣٢]. وقَبْل أنْ يَشْرَع في تعبير الرؤيا آثَر أنْ يَعْرِض عليهما دَعْوة التَّوحيد أوَّلاً، قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩﴾[٦٣٣]. وهنا بعض اللَّطائف التي اسْتَنْبَطَتْها الدِّراسة الحاليَّة، وتؤكِّد أهمِيَّة إبرازها، والاستئناس بها في ممارسة التَّطَوُّع، خاصَّةً عند طَرْحِه للمتربِّين الصِّغار:

- فِعْل التَّطَوُّع لا يَتَطَلَّب إمكاناتٍ عظيمةً، أو أوقاتاً معينةً، أو أماكن مخصوصةً، أو قُدُراتٍ تفوق المعتاد، فبإمكان المرء ممارَسته في أيِّ وقتٍ، وفي كلِّ حالٍ، طالما تَوَفَّرت في نفْسه نِيَّةٌ صادقةٌ، ورغْبةٌ مخلِصةٌ، واستطاعةٌ في أنْ يُقدِّم شيئاً يَنْتَفِع به الآخَر، ولو كان كلمةً طيِّبةً، فهذا نبيُّ الله يوسُف عليه السَّلام مسجونٌ ظُلْماً وعُدْواناً، ولم يمنَعْه وجوده في السِّجن، ولا إحساسُه بالظُّلْم من أنْ يبادِر في مساعدة مَن حَوْله.

---

[٦٢٨] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٣٩٧.

[٦٢٩] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ٦. ص. ١٢٧١. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٣. ص. ٣٢.

[٦٣٠] القرآن. يوسُف ١٢:٣٦.

[٦٣١] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٣٩٧. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٣. ص. ٣٢.

[٦٣٢] القرآن. يوسُف ١٢:٣٧.

[٦٣٣] القرآن. يوسُف ١٢:٣٩.

- كِفاية إدارة المشاعر والفِعْل الإيجابي: تُبَيّن الدِّراسة الحاليَّة أنَّ في شَرْح مَوقف نبيّ الله يوسُف عليه السَّلام في السِّجن للمتَعَلِّم الصَّغير تربيةً له على حُبِّ العَطاء، وبذْل الخير مهما كانت الظُّروف قاسيةً، أو المعاناة من مواقف صعبةٍ ذات ألمٍ أو حِرْمانٍ، فيحاول إدارة مشاعِر حُزنه بطريقةٍ تَدْفعه للإيجابيَّة من خلال جَعْلها حافِزاً له لتقديم المساعدة للآخَرين، لأنَّ في المشاركة والتَّفاعُل مع الآخَر تجاوزاً لبعض الألم، واكتساب خبرةٍ تؤهّله للصُّمود أمام المستجدات، وهذا ما يُطْلَق عليه الذَّكاء الانفعالي[٦٣٤]، وهو من أنواع الذَّكاء الاجتماعيّ الذي يُعَدّ من أوْلَويَّات التَّرْبية الحديثة لِما فيه من تَنْمية قُدْرَة المتعَلِّم الصَّغير على الوَعْي بما يحدث له وحَوْله، وفَهْم مشاعره، وضَبْط انفعالاته، بالإضافة إلى التَّعاطف مع الآخَرين.
- إنَّ من أفضل التَّطَوُّع الدَّعوة إلى التَّوحيد، وقد عَرَضَها يوسُف عليه السَّلام على السَّائلَيْن قبْل أنْ يُعَبِّر لهما الرُّؤيا. فالدَّعوة إلى الله، وإلى اتِّباع الحقِّ، ونَبْذ الباطل ينبغي أنْ تكون هاجِس كلّ مؤمنٍ. وهي تدلّ أيضاً على كِفاية المبادَرة بالدَّعوة إلى التَّوحيد.
- استثمار المواقف في تقديم النَّفْع للآخَر دونَما مُقابلٍ إلَّا ابتغاء رضوان الله عزَّ وجلَّ، وهذا ما قام به يوسُف عليه السَّلام، إذ حَرَص على طَمْأنة السَّائلَيْن، وليس ثَمَّة مَصْلحةٌ يَرْتجيها سِوى رضوان الله تعالى.

وقد وقَف يوسُف عليه السَّلام الموقف التَّطَوُّعيّ ذاته عندما سُئِل مرةً أخرى عن تَعبير رؤيا رآها الملِك، قال تعالى: ﴿يوسُف أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ

[٦٣٤] أحمد العَلوان. ٢٠١١. "الذَّكاء الانفعالي وعَلاقَته بالمهارات الاجتماعية وأنماط التعلق لدى طلبة الجامعة في ضَوْء متغيري التخصص والنوع الاجتماعي". *المجلة الأردنية في العلوم التَّربوية*. الأردن- إربد. مجلد ٧. عدد ٢. ص. ١٢٥.

خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَتٍ لَعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[٦٣٥]، فلَم يتردَّد في تقديم العَوْن، ولم يُعاتِب، أو يُعنِّف[٦٣٦] الذي جاءه بالسُّؤال، وقد كان أحَد الاثنَيْن اللَّذَين سألاه في المرَّة الأوْلى، ونجا من السِّجْن، ولكنَّه نسِي طَلَب يوسُف عليه السَّلام بأنْ يَذْكُرَه عند المِلك، والقصَّة مبسوطةٌ في كُتب التَّفسير. وبعد أنْ مَنَّ الله تعالى على يوسُف عليه السَّلام بالنَّجاة من السِّجْن، وحَظي بمكانةٍ خاصَّةٍ أثيرَةٍ لدى المِلك، بادر متطوِّعاً بعَرْض خدماته على المِلك حيث قال الله تعالى على لسان يوسُف عليه السَّلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[٦٣٧]، وما كان ذلك منه إلَّا رغبةً في النَّفْع العام، وحِرصاً على المصلحة العامَّة لِما عَرَف من نفْسِه من عِلْمٍ، ومهارةٍ، وكفاءةٍ[٦٣٨]، وأمانةٍ يستطيع بها ضَبْط، وتدْبير المال العام، فكان له ما أراد.

- كِفاية المبادَرَة: وهنا تُشير الدِّراسة الحاليَّة إلى مَلْحَظٍ دقيقٍ يُستفاد من الآية يستطيع المربّي أنْ يستثْمره في التَّوْجيه لكِفاية المبادَرَة بعد أنْ يوجِّه المتربِّي الصَّغير إلى كِفاية استكشاف الذَّات والقُدُرات، ثمَّ بناء الثِّقة في شخْصيَّته، فالوَعْي بالذَّات من أهمِّ الكِفايات التي تُعين الفرد على التَّفاعل بنجاحٍ في الحياة. وإدراك مواضِع القُوَّة في النَّفْس فيه تشْجيعٌ لكلِّ مَن وَجَد في نفْسه كفاءةً وقُدْرةً على تَقديم نَفْعٍ للمجتمع ألّا يتوانى في المبادَرَة، والمسارَعة في تَرْشيح نفْسه[٦٣٩]، وهذا ما ألْمَح إليه العَلَّامة ابن عاشورٍ عند تفسيره للآية بقوله: "وَاقْتِرَاحُ يوسُف- عَلَيْهِ السَّلام- ذَلِكَ إِعْدَادٌ لِنَفْسِهِ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْأُمَّةِ عَلَى سُنَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ مِنِ ارتياح نُفُوسهم للعِلْم فِي الْمَصَالِحِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْأَلْ مَالًا لِنَفْسِهِ وَلَا عَرَضًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيا، .... وَعَلَّلَ طَلَبَهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

---

[٦٣٥] القرآن. يوسُف ١٢:٤٦.

[٦٣٦] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٣٩٧.

[٦٣٧] القرآن. يوسُف ١٢:٥٥.

[٦٣٨] السَّعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٤٠٠.

[٦٣٩] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ٧. ص. ٥.

إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"[٦٤٠]. وتابَع العَلَّامة حديثه: "هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ لِوُجُوبِ عَرْضِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لِوِلايَةِ عَمَلٍ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهُ غَيْرُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ النُّصْحِ لِلْأُمَّةِ، وَخَاصَّةً إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُتَّهَمُ عَلَى إِيثَارِ مَنْفَعَةِ نَفْسِه عَلَى مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ"[٦٤١].

وهكذا –كما تُبيّن الدِّراسة– حين يُنبّه المرَبِّي المتربّين الصِّغار إلى النَّظر في دواخلهم، واكتشاف ميولهم، ومَلَكاتهم، وقُدُراتهم، فما كان خافياً عليهم ساعَدَهم ليُظْهِروه، وما كان فيهم من ضَعْفٍ سَعَوا إلى القضاء عليه بالعِلْم والمثابرة، وما كان فيهم من نقاط قوّةٍ عَزَّزوها أيضاً بالعِلْم وباستمرار الممارَسة، كلُّ هذا برعايةٍ وعَوْنٍ، وإشرافٍ من المربّي داخل الأسرة أو في المدرسة، فإذا ما وصلت تلك المَلَكات، والمهارات إلى مستوىً من النُّضْج، شُجِّع المتربّي لإبرازه بدون تَرَدُّدٍ أو وَجَلٍ، وبتعَرُّضِه لمزيدٍ من المواقف الحياتيَّة يكتسِب مزيداً من الخبرات، فتُصْقَل، وتُهذَّب تلك المَلَكات لترتقي درجةً أعلى في المستويات.

٣،٣،٦ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ موسى عليه السَّلام

من أبْرَز وأكْثر الأنبياء ذِكْراً في القرآن الكريم نبيّ الله موسى عليه السَّلام، حيث ورد ذِكْر اسمه صريحاً في ١٣٦ موضعاً[٦٤٢]، وقد شملت قِصَّته صُوَراً عديدةً للتَطَوُّع تناولت محطَّات حياته الكريمة منذ ولادته، فشبابه، وحتَّى بعد تكليفه بالنُّبُوَّة، ويمكن الإشارة إلى بعض تلك المواقف فيما يأتي:

حين وُلد موسى عليه السَّلام، وأوْحَى الله عزَّ وجلَّ إلى أمّه إنْ خافت عليه أنْ تُلْقيه في التَّابوت، ثمَّ في اليَمّ، تَطَوَّعَت أخته استجابةً لطَلَب والدتها في متابعة سَيْر التَّابوت لتعْرِف أين سيستَقِر، قال تعالى في

---

[٦٤٠] ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ١٣. ص. ٨.

[٦٤١] المصدر نفسه. ج. ١٣. ص. ٩

[٦٤٢] عبد الباقي، مُحَمَّد فؤاد. ١٣٦٤هـ. *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. القاهرة: دار الكتب المصرية. ص ٦٨٠. موقع https://www.altafsir.com/Quran_Search.asp

الكتاب العزيز: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١﴾[٦٤٣]، ثم لَمَّا حار أهْل فرعون في إيجاد مُرْضِعٍ لهذا الرَّضيع الذي يتَضَوَّر جوعاً، تطوَّعَت هذه الأخت الحنون مرةً أخرى لتدلّ القَوْم على مَن يَكْفله، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾[٦٤٤].

ولما شبّ موسى عليه السَّلام، وبَلَغ أشُدَّه استجاب تطَوُّعاً لإنقاذ رَجلٍ من شيعته استغاثه ليَنْصُرَه على عدُوّه، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾[٦٤٥]. فلمَّا صار عليه السَّلام في المدينة خائفاً يترَقَّب، قَيَّض الله له رَجلاً ناصِحاً، جاءه تَطَوُّعاً، وهو يَحُثُّ الخُطى ليُخْبِره بأمْر قوم فرعون الذين يترَبَّصون به لقَتْله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠﴾[٦٤٦].

وتَتوالى الأحْداث في حياة هذا النَّبيّ الكريم لتُظهِر خُلُقَه الكريم حين دَعَتْه الشَّهامة والنَّخْوة ليتَطَوَّع في مساعدة فتاتَيْن تريدان سَقْي أغنامهما وتَتَحَرَّجان، فبقِيَتا تنتظران إلى أنْ يَنْفَضَّ جَمْع الرّعاء، فسارع للمساعدة، فسَقَى لهما، ثُمَّ تولَّى عنْهما دون أنْ ينْتظِر كلمة شُكْرٍ أو إطراءٍ على جميل صَنيعه، بل سارع إلى مناجاة ربِّه طالِباً منه وحْده سبحانه الخير، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ

---

[٦٤٣] القرآن. القصص ١١:٢٨.

[٦٤٤] القرآن. القصص ١٢:٢٨.

[٦٤٥] القرآن. القصص ١٥:٢٨.

[٦٤٦] القرآن. القصص ٢٠:٢٨.

يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾[٦٤٧].

ولَمَّا كان حُبُّ التَّطَوُّع مُتَأصِّلاً في نفْس هذا النَّبيّ الكريم لمْ يعْترِض على عَرْض الرَّجل الصَّالح والِد الفتاتَيْن حين طَلَب إليه أنْ يسْتَأجِره لمدَّة ثمان حِجَجٍ، فإنْ زادَها تَطَوُّعاً منه، وتَبَرُّعاً لتُصْبح عشْراً فهذا كَرَمٌ منه وفَضْلٌ، قال تعالى: ﴿أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾[٦٤٨]. ورَوَى البُخاري عن سعيدِ بن جُبَيرٍ قَالَ: "سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الحِيرَةِ أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى، قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ العَرَبِ فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «قَضَى أَكْثَرَهُمَا، وَأَطْيَبَهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَ"[٦٤٩].

وحين أتَى التَّكْليف الرَّبانيُّ لموسى عليه السَّلام بالنُّبوَّة، طَلَب من الله عزَّ وجلَّ أنْ يجعل معه أخاه هارون نَبِيّاً، قال تعالى على لسان موسى عليه السَّلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[٦٥٠]، وهذه شفاعةٌ منه لأخيه لينال معه شَرَف النُّبُوَّة[٦٥١]، ويُمكن اعتبار هذا الطَّلَب منه عليه السَّلام مبادَرَةً تَطَوُّعِيَّةً لتُعِينه على القيام الأمْثل بواجب الدَّعوة المقدَّسة، ونَشْر الخير، فمَنَّ الله سبحانه وتعالى عليه بالإجابة، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾[٦٥٢]، وكانت هِبَةً من الله ورَحْمَةً أنْ أُوتِي هارون النُّبُوَّة بشفاعةٍ من أخيه موسى

---

[٦٤٧] القرآن. القصص ٢٨: ٢٣-٢٤.

[٦٤٨] القرآن. القصص ٢٨: ٢٧-٢٨.

[٦٤٩] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الشهادات. بَابٌ: مَنْ أَمَرَ بِإِنْجَازِ الوَعْدِ. ج. ٣:١٨١. رقم الحديث ٢٦٨٤.

[٦٥٠] القرآن. طه ٢٠: ٢٩-٣٤

[٦٥١] ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل. ٢٠٠١م. *قصص الأنبياء*. تحقيق: محمود بن الجميل مع تعليقات مُحَمَّد ناصر الدين الألباني. القاهرة: مكتبة الصفا. ص. ٢٤٥.

[٦٥٢] القرآن. طه ٢٠: ٣٦.

عليهما السَّلام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾[٦٥٣]، وفي هذا دليلٌ على أنَّ طَلَب الخير للغير يعود على الاثنَيْن بالخير. ولَمَّا ذَهَب النَّبيّان الكريمان لدعْوة الطَّاغية فرعون إلى الإيمان بالله، ولإنقاذ بني إسرائيل من سَطْوَته وجَبَروته، رَفَض واستكبر، واحْتَدَم الصِّدام، وعَزَم الطَّاغية على قَتْل موسى عليه السَّلام، حينئذٍ قام رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكْتُم إيمانه مُدافِعاً عن الحقّ، وعن النَّبيّ الكريم الذي دعا إلى اتباع الحقّ، ومتطَوِّعاً بالدَّعوة إلى دِين الحَقّ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ .. ﴿٢٨﴾﴾[٦٥٤]، وذُكِر في أكثر من مَوْضِعٍ من سورة غافر حواره الطَّويل لإقناع قومه بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾[٦٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾[٦٥٦]، وقد سَطَّرت هذه الآيات الكريمة موقِفَه النَّبيل، وحِرْصه الشَّديد في تَقديم النُّصْح والخير في دعوة قومه ليكون بذلك نِبْراساً للدُّعاة المصْلحين، وأنموذَجاً عَمَليّاً للمتَطَوِّعين الذين يطْمَعون في ثواب الله عزَّ وجلَّ وحده، فيستَنْفِذون ما في الوُسْع من طاقةٍ، غير مُتَرَدِّدين أو آهِين لِما يعْتَرِضهم من مصاعب وعَقباتٍ ومتاعِب، وسِمات المصْلحين هذه تجعَل من العمل التَّطَوُّعيّ عمَلاً راقياً، ومعنىً سامياً، وجُهْداً مؤثّراً.

وكان ممَّا ابتُلي به النَّبيّ الكريم موسى عليه السَّلام أثناء غِيابه عن قوْمه، وذهابه لميقات ربّه تطوّعُ السَّامِريّ الذي أحْدَث فِتنةً في بني إسرائيل، إذ صَنَع لهم عِجْلاً جَسَداً له خُوارٌ ليَحْرِفَهم عن عبادة الله الواحد القهَّار، وكان تَطَوُّعه القبيح هذا سَبباً في غِواية القَوم وإضلالهم، فلمَّا سُئِل عن سبب فَعْلَته الشَّنْعاء، اعترَف أنَّ ما قام به إنَّما هو مما زَيَّنَتْه له نفْسُه وحَسَّنته، فاستحقَّ بذلك عذاب الدُّنْيا والآخِرة، فمَن يعمل

---

[٦٥٣] القرآن. مريم ١٩: ٥٣.

[٦٥٤] القرآن. غافر ٤٠: ٢٨.

[٦٥٥] القرآن. غافر ٤٠: ٣٨.

[٦٥٦] القرآن. غافر ٤٠: ٤١.

أو يتَطَوَّع بسُنّةٍ سيّئةٍ، وإرشادٍ إلى ضلالٍ لا يحصد إلَّا وِزراً يَهوِي به في دائرة العذاب، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ .. ﴿٩٧﴾﴾[٦٥٧].

ومَن يَقرأ سورة الكهف يَلْحظُ جوانب عديدةً تَكْشِف عن مجالاتٍ مختلفةٍ للتَطَوُّع، منها:

- التَّطَوُّع في طَلَب العِلْم،
- وبَذْل الوُسْع والاجتهاد في ذلك،
- وتَحَمُّل المشاقّ في تَحصيله، وكذلك في تعْليمه.

واستكمالاً لعَرْض أثَر التَّطَوُّع في حياة نبيّ الله موسى عليه السَّلام، ستُبَيّن السُّطور الآتية شِدَّة رغْبَته عليه السَّلام في الخير وطَلَب العِلْم[٦٥٨]، وما كان من خَبَرِه مع العَبْد الصَّالح الذي حَباه الله بعِلْمٍ لم يُعْطَه موسى عليه السَّلام، وقد ذَكَر العَلَّامة السَّعدي رحمه الله تعالى: أنَّ اسمَه الخِضْر، ورَجَّح أنْ يكون عبْداً صالِحاً وليس نبيّاً[٦٥٩]، إذ تَطَوَّع موسى عليه السَّلام لمرافقته طَلَباً للعِلْم، وطَلَبُ العِلْم، وبَذْلُه للآخَرين من الوجوه المعتبَرَة للتَطَوُّع.

فعَرَضَت الآيات الكريمة إلى بعض الصِّفات التي ينبغي لطالِب العِلْم التَّحَلّي بها من صَبْرٍ، وأناةٍ، وتقديرٍ، وتواضُعٍ، وطاعةٍ للمُعَلِّم، وما ينبغي على المعَلِّم أنْ يتَّصِف به من لِين الجانب، وعدم الامتناع عن بذْل العِلْم، وتنبيه طُلّابه إلى أنَّ رِحْلة التَّعَلُّم تَتَطَلَّب حُسْن الصَّبر في التَّلَقّي والأخْذ[٦٦٠]، فإذا كانت هذه

---

[٦٥٧] القرآن. طه ٢٠: ٩٥-٩٧.

[٦٥٨] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٤٨١.

[٦٥٩] المصدر نفسه. ص. ٤٨٢.

[٦٦٠] المصدر نفسه. ص. ٤٨٢. ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٥. ص. ٣٧٢.

هي صِفَة طالب العِلم والمعَلِّم بوجْهٍ عامٍ، فكيف بهما إنْ سلَكا طريق العِلم والتَّعْليم تَطَوُّعاً، حينئذٍ تكون هذه الصِّفات في حقِّهما آكَدُ وأوْثَق.

والآيات الآتية تَعْرِض الحوار الذي دار بينهما، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾[٦٦١].

وتبدأ رِحْلة الصُّحبة الصَّالِحة، فانْطلقا، وتَظهر لنبيِّ الله موسى عليه السَّلام خلالها أفْعالٌ تَطَوُّعيَّةٌ يقوم بها العبد الصَّالح، ولكنّ بعضها مخالِفٌ لظاهِر شريعَته، وممّا لم يتوقّعه منه، لأنَّها في عُرْفه مُنْكَرٌ لا ينبغي الإقدام عليه، ولا السُّكوت عنه، والأنبياء لا يُقِرّون على مُنْكرٍ[٦٦٢]، فتُثارُ في نفْسه أسئلةٌ لم يملِك كِتْمانها، فسأل، وقد نَسِي الشَّرْط الذي بينهما، عن أمْر خَرْق سفينة المساكين الذين سَمحوا لهم بالرُّكوب دون نوالٍ، وهذا تطَوُّعٌ يُحسَب لهم، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾[٦٦٣]، ثمَّ عن أمْر قَتْل نفْس غُلامٍ زكيّةٍ لم يرتكِب جُرْماً، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾[٦٦٤]، ثمَّ عن تجَشُّم العَناء في إقامة جِدارٍ لأهل قريةٍ مَنعوهما قِرى الضَّيْف بُخلاً ولُؤماً[٦٦٥]، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ

---

[٦٦١] القرآن. الكهف ١٨: ٦٦-٧٠.

[٦٦٢] القرطبي. ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ١١. ص. ١٧. ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٥. ص. ٣٧١.

[٦٦٣] القرآن. الكهف ١٨: ٧١.

[٦٦٤] القرآن. الكهف ١٨: ٧٤.

[٦٦٥] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٦. ص. ٧.

عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾[٦٦٦]، وقد كانت ضِيافة عابر السَّبيل، وإكرامُه شائِعةً في الأمَم السَّابقة، ويتَطَوَّع للقيام بها مَن أعَدَّ نفْسَه لها[٦٦٧]. فلَمَّا ثَقُل الأمْر على موسى عليه السَّلام، وكان ما كان من أمْر نُكْرانه لِما رأى من العجائب، اتَّخذ العبد الصَّالح قرارَه بوجوب المفارَقَة بينهما، قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ ... ﴿٧٨﴾﴾[٦٦٨]، وكان هذا القرار منه بفَضِّ الصُّحْبة تحقيقاً لِما شَرَطَه موسى عليه السَّلام على نفْسِه[٦٦٩] حين استنكر آنِفاً قتْل الغلام، قال تعالى على لِسان موسى عليه السَّلام: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾[٦٧٠]. وقَبْل أنْ يَفْتَرِقا وَفَّى العبد الصَّالح بما وَعَد به ﴿.. سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾[٦٧١]، فأخْبَره بما استشْكل عليه ممَّا جَرى، وكيف أنَّ غَرَضَه كان تحقيق مصلَحَةٍ لأصحاب السَّفينة: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾[٦٧٢]، وكذلك تحقيق مصلَحَةٍ لأهل الغُلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾[٦٧٣].

وهنا فائدةٌ ذَكَرها العَلامة السَّعدي رحمه الله تعالى تُجَلّي قاعدةً فقهيةً كبيرةً مفادُها: "يُدفَع الشَّرُّ الكبير بارتكاب الشَّرِّ الصَّغير، ويُراعى أكبَر المصْلَحَتَيْن بتَفْويت أدْناهما"[٦٧٤]. وذَكَر رحمه الله تعالى قاعدةً

---

[٦٦٦] القرآن. الكهف ١٨: ٧٧.

[٦٦٧] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٦. ص. ٧

[٦٦٨] القرآن. الكهف ١٨: ٧٨.

[٦٦٩] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٤٨٢. ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٦. ص. ٦، ١٠.

[٦٧٠] القرآن. الكهف ١٨: ٧٦.

[٦٧١] القرآن. الكهف ١٨: ٧٨.

[٦٧٢] القرآن. الكهف ١٨: ٧٩.

[٦٧٣] القرآن. الكهف ١٨: ٨٠-٨١.

[٦٧٤] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٤٨٢.

فقهيةً أخرى تُجَوِّز عَمَل الإنسان في مال غيره ولو بغَيْر إذنه إذا كان في ذلك إزالةُ مَفْسَدَةٍ وتحْقيق مصلَحةٍ، وإنْ ترَتَّب على هذا العمل إتْلافُ بعضِ مال الغَيْر[٦٧٥]، فقد تَنْشَأ المصلَحَة عن المفْسَدَة[٦٧٦].

وتُوَفِّر هاتان القاعدتان في الفقه مَظَلَّةً شرْعيةً للمُتَطَوِّع تجعله حريصاً على البحث عن مصلحة الآخَر، وتقْديم الخِدمة له في إخلاصٍ وتفانٍ. وأمَّا مسألة إقامة جِدار اليتيمَيْن فقد عَزى ذلك لِصَلاح أبيهما، قال تعالى على لسان الخِضر: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[٦٧٧]، فمِن رحمة الله أنَّه يحْفَظ العبد الصَّالح في نفْسه وفي ذُرِّيَته[٦٧٨]. وهذا يُعطي المتَطَوِّع حافِزاً يدْفعه، ويُشجِّعه للانخراط في طريق التَّطَوُّع وهو مطمئنُّ النَّفْس، مرتاح البال إلى أنَّ الله لن يُضَيِّعه، ولن يَحْرمه ثواب صَنيعه، وسيُسَخِّر له ولذُرِّيته مَن يُقَدِّم لهم يد العَوْن والإحسان فيما تجري به عليهم المقادير، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[٦٧٩].

قصَّة نبيّ الله موسى عليه السَّلام وأحْداثُها المثيرةُ الكثيرةُ انْطَوَت على أنواعٍ من الكِفايات يمكن للمُرَبّي الحَصيف تَقْديمها للمُتَرَبّي الصَّغير، ويَرْبطها بالتَطَوُّع، لَعَلَّ أبرزها بنَظَر الباحثة ما يَتَعَلَّق بكِفاية إدارة الذَّات من حيث الانْفعال، واستخدام الملَكات في التَّواصُل الاجتماعيّ فيما يُقدّم العَوْن للآخَرين، وقد تَجَلَّى ذلك في أكْثر من مَوْقفٍ:

---

[٦٧٥] المصدر نفسه. ص. ٤٨٢.

[٦٧٦] عبد السَّلام، أبو مُحَمَّد عز الدين عبد العزيز، الملقب بسلطان العلماء. ١٤١٦ هـ. *الفوائد في اختصار المقاصد*. تحقيق: أياد خالد الطباع. دمشق: دار الفكر العربي. ص. ٤٧.

[٦٧٧] القرآن. الكهف ١٨: ٨٢.

[٦٧٨] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٤٨٢.

[٦٧٩] القرآن. الرحمن ٥٥: ٦٠.

- كِفاية التَّحَكُّم في الانفعال: فتَطَوُّع موسى عليه السَّلام، وهو في حالة الانفعال، لنُصْرَة ذلك الشَّخْص الذي هو من شِيَعته على الذي هو عَدُوٌ لهما، جَعَلَه يتَسَبَّب في قَتْلِه، غير قاصدٍ لذلك، بل كان يريد تَقْديم المساعدة. وهنا إشارة إلى أهمِيَّة ضَبْط الانفعالات، وخاصَّةً انْفِعال الغَضَب، قَبْل إظهار أيّ رَدَة فِعْلٍ، وأيضاً التَّأنِّي في الاستجابة لكُلِّ مَن طَلَب العَوْن في مِثْل تلك المواقف حتَّى تَسْتَبين الحقائق.
- وشُعور الغُرور لدَى السَّامريّ بأنَّ عنْده من العِلْم ما ليس عِنْد القَوْم[٦٨٠]، واتِّباعه لهوى نفْسِه التي زَيَّنَت له ذلك الغُرور، قادَه إلى التَّطَوُّع في الشَّرِّ، فَضَلَّ، وفَتَن القَوْم، وأضَلَّ الذين اتَّبَعوه، فكانت عاقبته السّوء في الدنيا والآخرة.
- كِفاية المبادَرة: وهي متَّصِلَةٌ بكِفاية التَّواصُل مع الآخَرين، حيث بَرَزَت هاتان الكفايتان حينما بادَرَ موسى عليه السَّلام لمساعدة الفتاتَيْن في السَّقْي لأغنامهما دون أنْ تَسْألاه المعونة، وهذا يوَضِّح كيف أنَّ الانتباه والملاحَظَة الواعية للمَوْقف قادت إلى تَصَرُّف المبادَرة، وإلى الطَّريقة المثلى في مِثْل هذا الموقف للتَّواصُل مع الآخَرين، وسَدِّ حاجَتهم.

كِفاية التَّحَكُّم في الانفعال وإدارَة المشاعِر، وكِفاية المبادَرَة من الكِفايات العامَّة[٦٨١] التي ينبغي تَوْجيه الصِّغار إليها لتَتَأصَّل في شخصياتهم في عُمُرٍ مُبَكِّرٍ وتنمو، ولتَنْضِج أكثر مع المواقف الحياتيَّة اليوميَّة التي تَعْرِض لهم.

---

[٦٨٠] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*-إحياء التراث. ج. ٣. ص. ٢٧٣. الرازي. ١٤٢٠ هـ. *مفاتيح الغيب= التفسير الكبير*. ج. ٢٢. ص. ٩٥. ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١٦. ص. ٢٩٥.

[٦٨١] وزارة التَّرْبية التونسية، *البرنامج العربي لتطوير مناهج التدريس وتوظيف تقنيات المعلومات والاتصال في التعليم والتعلُّم*. ٢٠١٣م. وحدة تدريبية (تكوينية) في مجال كِفايات القرن الحادي والعشرين. ص.٩.

٣،٣،٧ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ سُلَيمان عليه السَّلام

من جُمْلَة المواقف التَّطَوُّعيَّة التي ولا شَكَّ تَزْخَر بها حياة الأنبياء عليهم السَّلام، يمكن التَّوَقُّف عند موقفَيْن بارِزَيْن في حياة نبيّ الله سُلَيمان عليه السَّلام، يَتَجَلَّى فيهما مَفْهوم التَّطَوُّع في عَمَل الخير، وقد كان المتَطَوِّع في الموقف الأوَّل نملةً، والمتَطَوِّع في الموقف الثَّاني هُدْهُداً! وفي هذا تَوْجيه إلى بني آدم عليه السَّلام، وهُم المكرمون عند الله بأنَّهم الأجْدَر للقيام بهذا الدَوْر النَّبيّل لبَذْل ما في الاستطاعة لنَفْع الآخَر. وفيما يلي شَيءٌ من التَّفْصيل عن الموقفَيْن:

لقد آتَى الله سبحانه وتعالى سُلَيمان مُلْكاً عظيماً، فسَخَّر له من الجِنّ والإنْس والطَّيْر مَن يأتَمرون بأمْره ولا يخالفونه، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[٦٨٢]، وعَلَّمَه مَنْطِق الطَّيْر، وفَهْم لُغَة الحيوان[٦٨٣]، ولَمَّا سار بجنوده ذات مرَّةٍ، واقترَبوا من وادي النَّمْل، صاحت نَمْلَةٌ حريصةٌ على سلامة بَني جِلْدتها لتَحْميهم من خطرٍ مُحْدقٍ ليَدْخلوا مساكِنَهم، ويحتَموا بها مخافة أنْ يحطِمَهم سُلَيمان عليه السَّلام بجنوده، وهُم لا يشْعرون! قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾[٦٨٤]. نَمْلةٌ واعيةٌ حكيمةٌ حريصةٌ على تقديم النَّفْع لمجتمعها بما أوتِيَت من قُوَّةٍ، وقُوَّتها حينئذٍ أنْ تَصْدَح بصَوْتها تنْبيهاً وتحذيراً لنَجْدة قوْمِها من هلاكٍ يقترب! فكان فِعْلها هذا تَطَوُّعاً منها بدافع الحُبّ والحِرْص والاهتمام، وقد نجحت في مُهِمَّتها، إذ لَمَّا سمِعها سُلَيمان عليه السَّلام استجاب لنِدائها مُتَبَسِّماً من حُسْن صَنيعها، وجميل ظَنِّها به وبجنوده حين قالت (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)، شاكِراً لنِعْمة الله عليه وفَضْله، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى

---

[٦٨٢] القرآن. النَّمْل ٢٧: ١٧.

[٦٨٣] الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٤. ص. ١٥٠.

[٦٨٤] القرآن. النَّمْل ٢٧: ١٨.

عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[٦٨٥]، ومتفكّراً في عِظَم المسؤوليَّة التي تقَع على عاتقه في حماية أفراد مملَكته كما حَرصَت هذه النَّمْلة على حِماية أفراد مجتمعها[٦٨٦].

فتَطَوُّع النَّمْلة وهي ممَّا لا يَعْقِل لأَنْ تكون داعيةَ خيرٍ لقوْمها، تحْرِص على سلامَتهم، وتُنَبِّههم إلى الخَطَر المُحْدِق بهم، وأدَبها في تقْديم الإعذار حين قالت (وهم لا يشعرون) لمن تتَوَقَّع أنْ يأتي منهم الضَّرَر (جُنْد سُلَيمان عليه السَّلام)، كلُّ ذلك يُثير في المتَطَوّع التَّفكير، ويحَفِّز مشاعره للتَّعاطُف مع مجتمَع النَّمْل، ويدفَعه للمُحاكاة، فلا تكون النَّمْلة أفْضَلَ منه خُلُقاً، وأكثَرَ منه حِرْصاً على قومها، فيَسْعى ليكون عَوْناً ومُرْشِد خيرٍ لرِفاقه وأهله ومجتمعه.

وإذا كان تَطَوُّع النَّمْلة قد أنْقذ مجتمعها من هلاكٍ وشيكٍ في الدُّنْيا، فقد قاد تَطَوُّع الهُدْهُد في الإخبار عن قوم مَلِكة سبأ إلى هِداية أمَّةٍ من النَّاس إلى التَّوحيد، وإنقاذِهم من مَغَبَّة الشِّرْك والزّيغ، وسوء العاقبة في الدُّنْيا والآخِرة، إذ لولا إخباره نبيّ الله سُلَيمان عنهم ما عَرَف التَّوحيد طريقاً إلى قلوبهم.

في قصَّة الهُدْهُد مع سُلَيمان عليه السَّلام عِبَرٌ كثيرةٌ لأُولي الألباب ليس هاهنا مجال بَسْطها فتُنْظَر في مواطنها، وقد بدأت الحكاية حين تَفَقَّد سُلَيمان عليه السَّلام جنْده، فلمْ يَرَ الهُدْهُد: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾[٦٨٧]. وحين حَضَر الهُدْهُد، جَلَب لسُلَيمان عليه السَّلام الخبر المفاجَأة! قال سبحانه وتعالى على لسان الهُدْهُد: ﴿.. فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٦٨٨]، إذ رأى

---

[٦٨٥] القرآن. النَّمْل ٢٧: ١٩.

[٦٨٦] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٠. ص. ٢٢٥

[٦٨٧] القرآن. النَّمْل ٢٧: ٢٠.

[٦٨٨] القرآن. النَّمْل ٢٧: ٢٢-٢٤.

الهُدْهُد أثناء تَجوالِه مَن يتَّخِذون من دون الله آلهةً يعبُدونها ويُعَظِّمونها، فكَبُر عليه هذا الإشْراك بالله عزَّ وجلَّ، فقَصَّ على سُلَيمان عليه السَّلام هذا النَّبَأ العظيم، ليتَّخِذ التَّدابير اللَّازمة، وهو الذي أعطاه الله مُلكاً عظيماً يَسْتوجِبُ الشُّكر، والمحافظة عليه بالدَّعوة إلى التَّوحيد[٦٨٩]. فكان ما كان من قصَّة هِداية مَلِكَة سبأ وقوْمِها، وإيمانهم بالله عزَّ وجلَّ بعد أنْ استجابوا لدعوة الحَقّ، وأسْلَموا مع نبيّ الله سُلَيمان عليه السَّلام، قال سبحانه وتعالى على لسان مَلِكَة سبأ: ﴿.. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[٦٩٠]. فكانت بِداية الهِداية تَطَوُّعَ هُدْهُدٍ.

تُشير الدِّراسة الحاليَّة إلى أنَّ تَطَوُّع النَّمْلة ابتداءً، وتَطَوُّع الهُدْهُد في خِدمة الآخَر، وهو تَطَوُّعٌ في الخير محمودٌ، يُعَبَّر عنه في الأدَب التَّربوي الخاصّ بعالَم الكِفايات بكِفاية المبادَرَة، وكِفاية تَحَمُّل المسؤوليَّة، ويَلْفِت نَظَر المربِّي إلى أهمِيَّة تَوْظيف هاتَيْن القصَّتَيْن أيضاً في إذْكاء كِفاية التَّواصُل البيئيّ، ومهارة الذَّكاء الطَّبيعيّ لدَى المتَرَبِّي الصَّغير، وهي من الكِفايات والمهارات التي تُكمِّل إحساسه بإنسانيَّته، وأنَّه جزءٌ من عالمٍ فيه مخلوقاتٌ غير البَشَر، وفِطْرَتها مؤمِنةٌ، ولدَيْها أنظِمةٌ اجتماعيَّةٌ تجعلها حريصةً على بعضها، فمِن باب أوْلى أنْ يكون هذا الايمان، وهذا الحِرص صِفةً لازمةً للبَشَر. كما أنَّ موْقف هذَيْن المتَطَوِّعَيْن من غير بني البَشَر بيانٌ لكِفاية تحمُّل المسؤوليَّة تجاه المجتمع.

إنَّ مِثْل هذه القَصص تثير فُضول المتَرَبِّي الصَّغير للاهتمام بالطَّبيعة والبيئة من حَوْله، وبالتالي تُسْهم في الكشْف عن قُدُراته، واستثمار إمكاناته في المحافظة عليها، وعلى مُقَدَّراتها، وتُشجِّعه للتَّفْكير الإبداعيّ في استحداث وابتكار وسائل يمكن أنْ تُسْهِم في الاستدامة البيئيَّة.

---

[٦٨٩] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٠. ص. ٢٣٥- ٢٣٤.

[٦٩٠] القرآن. النَّمْل ٢٧: ٤٤.

إنَّ التَّرْبية البيئية تُعَدّ في الوقت الرَّاهن من لَوازم تربية المتعَلِّمين الصِّغار في القرن الحادي والعشرين، لأنَّه في ظلِّها تَلْتَقي مجموعةٌ من الكِفايات التي يَحرِص القائمون بالشَّأن التَّربويّ على غَرْسها في شَخصِيَّة الصِّغار، مثل كِفاية تَحَمُّل المسؤوليَّة، وكِفاية التَّخطيط الجيِّد، وكِفاية التَّواصُل البَنَّاء مع المحيط، وكِفاية الوَعْي بالذَّات، وغيرها من الكِفايات.

٣،٣،٨ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ زَكَرِيّا عليه السَّلام

نَذَرت امرأة عِمران أثناء حَمْلَها بالسَّيِّدة مريم عليها السَّلام أنْ تَجْعل وليدها؛ وهي تظُنُّ أنَّه سيكون مولوداً ذَكَراً؛ مُحَرَّراً يخدِم في بَيْت المَقْدِس[٦٩١]، وكان هذا النَّذْر تَطَوُّعاً منها تَتَقَرَّب به إلى الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى على لسان تلك السَّيِّدة المبارَكَة: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾[٦٩٢]، فلمَّا أنجَبَت مريم عليها السَّلام، تَنازَع الأحْبار من بني إسرائيل ومعهم زوج خالتها زَكَرِيّا عليه السَّلام أيُّهم يفوز بحضانة هذه الطِّفْلة، وذلك تَطَوُّعاً منهم، فهي ابنة عالِمهم وإمامِهم عِمران الذي يُجِلُّونه ويُقدّرونه، وزَكَرِيّا عليه السَّلام رَغِب في الفَوْز بهذا الشَّرَف لأنَّه زوج خالتها، فهو أحَقّ بحضانتها[٦٩٣]، فارْتَضى القَوْم القُرْعة لتكون حَكَماً بينهم[٦٩٤] حسماً للنِّزاع، قال سبحانه وتعالى مُخْبِراً نبيّه الكريم مُحَمَّداً ﷺ بهذه القِصَّة: ﴿.. وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٦٩٥]، فإجْراء القُرْعة بين المتنازِعين على كفالة مريم عليها السَّلام يوحِي بأنَّ رَغْبتهم في الفَوْز بحضانتها كانت تَطَوُّعاً منهم، فشاء الله عزَّ وجلَّ أنْ تكون الحضانة من نصيب زَكَرِيّا عليه السَّلام،

---

[٦٩١] البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ٢. ص. ١٤.

[٦٩٢] القرآن. آل عمران ٣: ٣٥.

[٦٩٣] ابن كثير. ١٩٩٩م. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٢. ص. ٣٥.

[٦٩٤] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٤. ص. ٨٦.

[٦٩٥] القرآن. آل عمران ٣: ٤٤.

قال تعالى: ﴿.. وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ... ﴿٣٧﴾﴾[٦٩٦]. وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ "كَفَّلَها" بِالتَّشْدِيدِ، أيْ أنَّ الله تعالى أمَر زَكَرِيّا بكفالتها، فبهذه القراءة لا يكون زَكَرِيّا مُتَطَوِّعاً، في حين أنَّ قراءة التَّخْفيف "كَفَلها" تُسنِد الفِعْل إلى زَكَرِيّا عليه السَّلام فيكون هو الذي بادَرَ تَطَوُّعاً لكفالة مريم عليهما السَّلام، بدَلالة قوله تعالى: " أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ"، وجاء في تفسير القرطبي : " وهو الاختيار، لأنَّ التَّشْديد يرجع إلى التَّخْفيف، لأنَّ الله تعالى إذا كَفَّلَها زَكَرِيّا كَفَلها بأمْر الله، ولأنَّ زَكَرِيّا إذا كَفَلها فعَن مشيئة الله وقُدْرَته، فعلى ذلك فالقراءتان متداخِلَتان"[٦٩٧]. وقام زَكَرِيّا عليه السَّلام بحُسْن الكفالة لتلك الطِّفْلة الصَّغيرة، والعناية بها حتَّى كبُرت في تلك البيئة الطَّاهرة، ثمَّ رأى عندها ما رأى من الكَرامات والخيرات التي قَصَّها القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾﴾[٦٩٨]، فتَحَرَّكَت في نفْسه دَوافِع الإيمان، ولَهَج يدْعو ربَّه بما في خاطِره من رَغْبةٍ في ذُرِّيةٍ صالحةٍ لِما رأى من صَلاح مريم عليها السَّلام، قال تعالى على لسان زَكَرِيّا عليه السَّلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[٦٩٩].

وهنا لا بدَّ من وَقْفَة تأمُّلٍ، حيث تؤكِّد الدِّراسة الحاليَّة على ضرورة الإشارة والإشادة بمَوْقف والدة السَّيِّدة مريم عليها السَّلام، التي عبّر موقِفُها عن كِفاية المبادَرَة بالخير حين نَذَرت لله أنْ تجْعَل حَمْلها في خِدمة الله، فرَغْبة الأمِّ الفاضلة في ذُرِّيَّةٍ صالحةٍ؛ وهي رغْبَة كلّ أمٍّ فاضلةٍ؛ جعلتها تحرِص على اختيار بيئةٍ طَيِّبةٍ لذُرِّيَّتها كي تَتَرَبّى فيها، فتَحْيا حياةً طيِّبةً. تلك الرَّغبة جعلَتها تُدْرِك أنَّه ليس هناك ما هو أفضل من

---

[٦٩٦] القرآن. آل عمران ٣: ٣٧.

[٦٩٧] القرطبي.١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*. ج. ٤. ص. ٧٠.

[٦٩٨] القرآن. آل عمران ٣: ٣٧.

[٦٩٩] القرآن. آل عمران ٣: ٣٨.

الحياة في كَنَف الله تعالى، وفي بيتٍ من بيوت الله، فنَذَرت ما في بطنها لله، وكُلّها ثِقَةٌ في أنَّه سبحانه لا يُضيع مَن يَتَكَفَّله ويَتَقبّله، ولَمَّا كانت نِيَّتُها صادقةً تَقَبَّل الله منها نَذْرَها، وأنْبَت ابنتها نباتاً حسناً، وجَعَل عبداً صالحاً من عباده ليس كأيِّ عبدٍ، بل هو نبيٌّ كريمٌ يَتَكَفَّلَها، ويقوم على شؤونها، ثمَّ كان منه سبحانه وتعالى قِمَّةُ الإكرام لتلك الأمِّ الفاضلة بأنْ جَعل ابنتها الصَّالِحة المنذورة لله أُمّاً لرسولٍ عظيمٍ، في خَلْقه مُعْجزةٌ لمْ تَتَكَرَّر، وتَجْري على يَدَيْه المعجزات، ذاك هو نبيُّ الله عيسى عليه السَّلام، وهذا قِمَّة الإحسان من الرَّحمن الكريم.

إنَّ في هذا جُملةً من الدُّروس الإيمانيَّة والتَّربويَّة البَليغة التي ينْبغي أنْ تَتَعَلَّمَها الأمَّهات، بل المرَبُّون في كلِّ عصرٍ وأوانٍ، ويمكن إبْراز بعضها في نقاطٍ:

- إنَّ صَلاح الذُّرِّيَّة ومسْتقبلَها المشْرِق إنَّما يكون في كَنَف الإيمان، وطاعة الرحمن أوَّلاً، ثمَّ هو سبحانه وتعالى يُهَيِّئ ويُسَخِّر لها أسباب الحياة الطَّيِّبة، والله لا يخْذُل مَن قَصَد مَرْضاته.
- إنَّ التَّرْبية الصَّالِحة تَتَطَلَّب تَهْيِئَة بيئةٍ صالحةٍ، فالورود العَطِرة لا تَنْبُت في المستنقعات. وهذا ما على المرَبّين والمهتَمّين بالشَّأن التَّربويّ كافَّة من أفرادٍ كالوالدَيْن والمعَلِّمين، والمشْرِفين، والمؤَسَّسات المعْنِيَّة بالشَّأن التَّربوي بشَكلٍ مباشِرٍ أو غير مباشِرٍ إدراكه، ويوجِب عليهم أنْ تتَضافر جهودهم جميعاً في توفير البيئة الصَّالِحة لغَرْس القِيَم والمفاهيم الأصيلة، والمجَهَّزَة بما يَدْعم إكساب المهارات الحياتيَّة اللَّازمة لحياةٍ طيِّبةٍ، والمواكِبة لروح العصر في التَّقَدُّم التكنولوجي والمعْرِفي في عالمٍ سريع التَّغَيُّر، والتَّكَيُّف مع هذه المتغَيِّرات بما يُحافظ على الهُوِيَّة الإسلاميَّة للأبناء على مستوى الإيمان والمعْتقَد، وعلى مستوى الموروث القِيَمي والحضّاريّ، والتَّحَلِّي بقِيَم المواطَنَة الحَقَّة.

- صلاح الوالدَيْن من أهمِّ أسباب صلاح الأبناء، فوالِد مريم عليها السَّلام كان حَبْراً صالِحاً، لذلك تَسابَق الأحْبار لكفالة ابنته، ولولا صلاح الأمُّ ما كانت لتنْذِر ما في بطْنها لله، وهذا مَدْعاةٌ لأنْ يحرِص كلُّ والدَيْن على إصلاح نفسَيْهما ليحْفَظ الله لهما ذُرِّيَّتهما. ويؤكِّد ذلك ما جاء في سورة الكهف حين سخَّر الله اثنَيْن من خِيرَة عباده: أحدُهما عبدٌ صالحٌ خَصَّه الله بالعِلم ببعض الأمور الغَيْبيَّة، والثَّاني نبيٌّ مُرْسَلٌ هو كليم الله موسى عليهما السَّلام ليَبْنِيا جِداراً أوْشَك أنْ يقع في قريةٍ بخيلةٍ شَحيحةِ العَطاء، وما ذلك إلَّا ليَحْفَظ الله بهذا الجدار كَنْزاً خَلَّفَه والدٌ صالحٌ لولَدَيْه اللَّذَيْن ذاقا اليُتْم بعد وفاته، وهذه رحمةٌ منه عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[٧٠٠] فلِصَلاح الأب قيّض الله مَن يحفَظ تركَته من الإرثِ لوَلَدَيْه.
- التَّطَوُّع في الخير لا يأتي إلَّا بخيرٍ، فأمُّ مريم عليها السَّلام نَذَرت ما في بطنها تَطَوُّعاً لله ليكون وليدُها خادماً في بيت الله، فكافَأها الله بأنْ أنْبَت ابنتها نَباتاً حَسناً، وجَعَلها سيِّدة بني إسرائيل، وأُمّاً لنَبيٍّ عظيمٍ جَرَت على يَدَيْه المعجزات.
- وتَطَوُّع زَكَرِيّا عليه السَّلام لكفالة مريم جَعَله يرى بعَيْنه من خوارق الأمور ما يُظهِر كَرَم الله عليها، فجَعَله يُدْرِك بقلبه المؤمن حقيقة أنَّ الله يَرْزق مَن يشاء بغَيْر حساب، فكان ذلك سَبَباً في دُعائه وَسؤالِه الوَلَد بعد أنْ انقطعت عنه الأسباب، فاستجاب الله له ورَزَقَه وَلَداً صالحاً صار نَبيّاً.

[٧٠٠] القرآن. الكهف ١٨: ٨٢.

- استخراج الكِفايات من مؤقف زَكَرِيّا عليه السَّلام: بدأ بكِفاية الملاحظة (وَجَد عندها رِزْقاً)، ثمَّ التَّفكير التَّحليليّ بعد السُّؤال (أنَّى لكِ هذا، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ)، ثمَّ الاستنباطي، فاستنبط من إجابتها أنَّ عليه السَّعْي ليتَحقَّق له ما يريد (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)، ثمَّ قام بالفِعْل الإجرائيّ (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ). وهنا يُوَجِّه المربّي للمتَرَبّي الصَّغير مجموعةً من القِيَم والمهارات والكِفايات في أسلوبٍ شَيِّقٍ يتناسَب مع مَداركِه، وظَرْف التَّعلُّم.

٣،٣،٩ التَّطَوُّع في حياة النَّبيّ مُحَمَّدٍ ﷺ

كانت حياة النَّبيّ مُحَمَّد ﷺ حافلةً بالمواقف التَّطَوُّعيَّة، كيف لا وهو الرَّحمة المهداة للعالَمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[٧٠١]، فلم يَكُن النَّبيّ الكريم ﷺ يَكْتفي بتَبْليغ ما هو مطلوبٌ منه امتثالاً لأمْر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ..٦٧﴾[٧٠٢]، بل كان ﷺ يجتهد اجتهاداً بالِغاً في الدَّعوة إلى الله، ويتَطَوَّع في سبيل ذلك، فيبْذُل الكثير من نَفْسه ووقته وجُهْده في تفانٍ وإخلاصٍ، ويتَحَيَّن كلَّ فرصةٍ سانحةٍ لاستنقاذ النَّاس من الضَّلال، برَغْم ما كان يُلاقيه من الأذى، وما يَشْعر به من الحُزن والأسى نتيجة صُدودِهم عن الحَقِّ، وقد وَصَف القرآن الكريم شِدَّة حِرْص النَّبيّ ﷺ على الاجتهاد في هِداية النَّاس للإيمان، والسَّعْي في تَقديم الخير لهم، وتنْفيرهم من الكُفر والشَّرّ[٧٠٣]، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[٧٠٤]،

---

[٧٠١] القرآن. الأنبياء ٢١: ١٠٧.

[٧٠٢] القرآن. المائدة ٥: ٦٧.

[٧٠٣] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٣٥٦.

[٧٠٤] القرآن. التوبة ٩: ١٢٨.

تُخاطِب الآيات المعْرِضين من المشْرِكين والمنافِقين من العَرَب بِدايةً، ولكنَّها مُوَجَّهةٌ إلى جميع الأمَّة المدْعُوَّة إلى الإسلام[٧٠٥]، فتُبَيّن أنَّ هذا النَّبيّ ﷺ هو "من جِنْسِهم، ومن نَسَبِهم، عربيٌ قُرَشيٌ"[٧٠٦]، يَعِزّ عليه دخول المشَقَّة والأذى عليهم، وما سيَلْحَقهم من ضَرَرٍ إنْ هُم تركوا الإيمان، وأنَّه يحرِص على هِدايتهم إلى الحَقّ فيُسْلِموا[٧٠٧]، ويَسْعى لإيصال خَيْر الدُّنْيا والآخِرة لهم[٧٠٨]، وهو رَؤوف بالمطيعين، رَحيم بالمذْنبين[٧٠٩]، وبيَّن العَلَّامة ابن عاشورٍ أنَّ ذِكْر الرَّسول ﷺ بهذه الصِّفات دليلٌ على أنَّها خُلُقُه وسَمْتُه، ممَّا يَعْكِس ظُهورَ رِفْقه بالأمَّة، وخَوْفَه عليها من عذاب الدُّنْيا والآخِرة، وتَطَوُّعَه بالشَّفاعة للنَّاس كلِّهم يوم القيامة لتَعْجيل الحساب[٧١٠].

تُبَيّن الدِّراسة الحاليَّة أنَّ سَعْيَ النَّبيّ ﷺ الدَّؤوب لنَشْر الدَّعوة، واتِّصافه بالرَّأفَة والرَّحمة فيه تَجْسيدٌ عَمَليٌّ لكِفاية التَّواصُل مع النَّاس والمجتمع، والنَّبيّ ﷺ تَجاوَز بحُسْن خُلُقه حَدَّ الكِفاية في التَّواصُل البَنّاء، وتَفَوَّق في ذلك أيَّما تَفَوُّقٍ، فهو الأسْوَة الحَسَنَة، وهو القُدْوة الكُبرى، ولذلك وَصَفَه الله سبحانه وتعالى بأبْلَغ وصفٍ حين قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[٧١١]، وهذا قِمَّة التَّشْريف والإكرام، فالنَّبيّ ﷺ عالي المقام، واجتمعت فيه كلُّ معاني الجمال الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة، وحاز من الفضائل أتَمَّها، ومن المحامِد أحْسَنها وأكْمَلها، قال الإمام الرَّازي: " فَلَمَّا كَانَ ﷺ إِمَامَ الْعَالَمِينَ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهُمْ حِلْمًا وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[٧١٢]. ولقد اختَصَّ الله سبحانه وتعالى بالمدْح أخلاقه الشَّريفة من بَيْن كلّ صفات الجمال والكَمال

---

[٧٠٥] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١١. ص. ٧٠.

[٧٠٦] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٣٢٥.

[٧٠٧] الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ١٢. ص. ٩٩.

[٧٠٨] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.١٦. ص. ١٧٧.

[٧٠٩] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*-إحياء التراث. ج. ٢. ص. ٤٠٨.

[٧١٠] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١١. ص. ٧٢.

[٧١١] القرآن. القلم ٦٨: ٤.

[٧١٢] الرازي. ١٤٢٠ هـ. *مفاتيح الغيب= التفسير الكبير*. ج. ٩. ص. ٤٠٥.

التي حواها، لأنَّه بالأخلاق يَتِمُّ التَّعارُف والتَّعامُل بين النَّاس، وما عدا ذلك من الصِّفات الخَلْقيَّة فلا يد للإنسان فيها، لأنَّها صَنْعَة الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال ﷺ: " إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"[٧١٣]، فالأعمال تأتي تَرْجمةً صادِقةً للأخلاق، والأخلاق تأخُذ مِدادَها ممَّا استقر في القلب. والعَظَمَة هنا تَشْمل كلَّ خُلُقٍ من أخلاقه ﷺ: رَأفَته، ورَحْمَته، وصَبْرَه، وحِلْمَه، وحُبَّه للمساعَدة، وشجاعَتَه، وكَرَمَه وحَياءَه، وكُلَّ خُلُقٍ جميلٍ[٧١٤] فيه ﷺ ظَهَر في تَعامُله مع رَبِّه الكريم، ومع النَّاس أجمعين.

لِذا وَجَب تَقْديم التَّأسِّي بالنَّبيّ ﷺ في كِفاية التَّواصُل مع النَّاس إلى المتربِّين الصِّغار، ليَتَعَلَّموا الطَّريقة المثْلى للتَّواصُل مع الأقْربين والأبْعَدين، والنَّاس أجمعين، بل مع الكون من حَوْلهم.

لقد اقتَضَت دواعي الرَّحمة والرأفة أنْ يتَّصِف النَّبيّ ﷺ بالحِلْم على مَن جَهِل عليه، والأناة، والعَفْو عمَّن أساء إليه، وهذا ما دَلَّت عليه سيرته العَطِرة، فاستَحَقَّ أنْ يخصَّه الله سبحانه وتعالى باسْمَيْن من أسمائه (رؤوفٌ، رحيمٌ) كما قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما[٧١٥].

حَدَّثت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " أَنَّهَا قَالَتْ للنَّبيّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ

---

[٧١٣] مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب البِرّ والصلة والآداب. بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ. ج. ٤: ١٩٨٧. رقم الحديث ٢٥٦٤.

[٧١٤] ابن كثير. ١٩٩٩م. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٨. ص. ١٨٩.

[٧١٥] الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٣٢٥. الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج. ١٦. ص. ١٧٨.

الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّد فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[٧١٦]. هذا الحديث يُتَرْجِم رَحْمة النَّبِيّ ﷺ تجاه مَن أساء إليه من أولئك النَّفَر من سادات ثَقيفٍ في الطَّائف، حيث تَوَجَّه لهم يَدْعوهم إلى الحَقِّ، وقَلْبُه مَكلومٌ ممَّا لاقَى من صُدود قوْمه في مكَّة، لكنَّهم جابَهوه بأَقْبَح رَدٍّ، وألْأَم تَصَرُّفٍ، فانْصَرَف ﷺ حزيناً مَهْموماً، ولَمّا واتَتْه الفُرْصَةُ لِيَنْتقِم حين أتاه جبريل عليه السَّلام يَضَع الأمْر بَيْن يَدَيْه لِيَأْمُر مَلَك الجبال فيُطْبِق الجبل على أولئك القَوْم الذين ما عَرَفوا قَدْرَه، فأَمْعَنوا في الإساءة، رَقَّ قَلْب النَّبِيّ ﷺ، وآثَر كَظْم غَيْظِه، وكَتم حُزْنه، راجِياً أنْ يُخرِج الله من أصْلابِهم موحِّدين[٧١٧].

- ثلاثةُ أنواعٍ من الكِفايات تَسْتَخْرِجها الدِّراسة الحاليَّة من مَشْهَد حادثة الطَّائف التي تَعَرَّض لها النَّبِيّ ﷺ، والتي ينبغي تَوْجيه أذْهان المتربِّين الصِّغار لها:
  - الكِفاية الأوْلى: هي كِفاية المبادَرَة، حيث بادَرَ النَّبِيّ ﷺ بتَغْيير بيئة الدَّعوة، فذَهَب إلى الطَّائف في مبادَرةٍ كريمةٍ منه لأَجْل هداية النَّاس إلى الإسلام، ونَشْر الدَّعوة، وتَجْرِبة بيئةٍ جديدةٍ ومجتمعٍ مختلفٍ. ولا شَكَّ أنَّ في هذا الفِعْل تَوْجيهاً جيِّداً للصِّغار كي يُحَفِّزوا أنْفُسَهم، ويَتَطَلَّعوا دَوْماً إلى استكشاف بيئاتٍ جديدةٍ، وأُناسٍ غير الذين اعتادوا عليهم، لعَرْض ما لَدَيْهم من علومٍ، أو مسائل نافعةٍ.
  - الكِفاية الثَّانية: هي كِفاية إدارة المشاعر: فقد شَعَر النَّبِيّ ﷺ بالحزن الشَّديد لإعْراض النَّاس عن الاستماع للحَقِّ، وللطَّريقة الفَجَّة التي اسْتقبلوه بها، فهو يرْجو لهم الخير، وهُم مُتَلَبِّسون

---

[٧١٦] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ. بَابُ: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ. ج. ٤:١١٥. رقم الحديث ٣٢٣١.

[٧١٧] العيني. د. ت. *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. كتاب بدء الخَلْق. بابٌ إذَا قَالَ أحدُكُمْ آمِينَ والمِلائِكَةُ فِي السَّماءِ فَوافَقَتْ إحْدَاهُما الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. ج. ١٥. ص. ١٤٢.

بالصُّدود والإعْراض، والعِناد، ومع ذلك لم يواجِهْهُم النَّبيّ ﷺ بالمِثْل، لأنَّه الرَّحمة المهداة وصاحِب الخُلُق العظيم، بل تَوَجَّه بالدُّعاء والالْتِجاء إلى الله. وهذا ما ينْبغي أنْ يتَعَلَّمَه الصَّغير، فإنْ شَعَر بالحزن والأسى والألم عليه الالْتجاء إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا تتَحَوَّل مشاعِرُه تلك إلى مَشاعِر غَيْظٍ، وحُنقٍ ورغبةٍ في الانتقام، أو قَسْوةٍ على النَّفْس، ولَوْمٍ وجَلْدٍ للذَّات.

- الكِفاية الثَّالِثة: تَتَعَلَّق بدرجةٍ راقيةٍ من كِفاية التَّواصُل مع النَّاس، فالنَّبيّ ﷺ لَمّا واجَه ذاك المَوْقِف العَصيب، وجرى له ما جرى من المعاناة، جاءَه مَن يُناصِره ويَنْتَقِم له، إذ بَعَث الله جبريل يُسانِده ويَأْتَمِر بأمْره، لكنَّ نبيَّ الرَّحمة ﷺ أبَى إلَّا أنْ يَعْفُوَ عنهم راجِياً أنْ يُخْرِج الله من أصْلابِهم مُوَحِّدين. وهكذا يَتَعَلَّم الصَّغير أنَّ العَفْو عن المسيء نَوْعٌ من التَّطَوُّع الكريم، هذا النَّوْع من التَّطَوُّع هو ما أطْلَقَت عليه الباحثة "تَطَوُّع عَطاء السَّلْب"، وسيأتي بَيانُه بالتَّفصيل في المبحث الثَّالِث من هذا الفَصْل.

آياتٌ كثيرةٌ في القرآن الكريم تَحَدَّثَت عن تَطَوُّع النَّبيّ ﷺ في مُخْتَلَف العبادات، كالصَّلاة مثلاً، فلمَّا نَزَلت الآيات من سورة المزَّمِّل، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[٧١٨] امْتَثَل ﷺ لأمْر الله، إذ كان قِيام اللَّيل في بادئ الأمْر فريضةً، ثمَّ جَعَلَه الله تَطَوُّعاً، وقد أخْبَرَت بذلك أمُّ المؤمنين السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها في رَدِّها على الصَّحابيّ الذي سألها عن قِيام رسول الله ﷺ، فأجابت: " أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ

[٧١٨] القرآن. المزمل ٧٣: ١-٤.

تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ"[٧١٩]، ولكنَّ النَّبيّ ﷺ الْتَزَمه، وزاد في الاجتهاد في العبادات، فكان يحْرِص على أداء السُّنَن والنَّوافل تَطَوُّعاً لله عزَّ وجلَّ وتَقَرُّباً إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ..﴿٢٠﴾﴾[٧٢٠]، وقد امْتَدَحه الله سبحانه وتعالى، وامْتَدَح أصْحابه الذين حذَوا حَذْوه، وتأسَّوا به ﷺ، فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ..﴿٢٩﴾﴾[٧٢١]، فهُم رُحَماء بينهم، مُتَحابّون، يحِبّ الواحدُ منهم لأخيه ما يُحِبُّ لنفْسه، وهذا يَقْتضي منه تَعاوُناً، ومُسارَعةً لتقْديم النَّفْع للآخَر، ابتغاء رِضْوان الله وثوابه، فهُم كالجسد الواحِد يَشُدّ بعْضُه بعْضاً، وقد جَمَعَتْهم أخُوَّة الإيمان، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. ﴿١٠﴾﴾[٧٢٢]، وكان النَّبيّ ﷺ قائدَهم ورائدَهم وقُدْوَتَهم الكبرى في تحْقيق معاني الأُخُوَّة الإيمانيَّة، والرَّحمة الإنسانيَّة، بعيداً عن كلِّ أشْكال العُنْصُريَّة أو الطَّائفيَّة أو القَوْميَّة.

واستخرجت الدِّراسة الحاليَّة العديدَ من الكِفايات التَّربويَّة من خلال بعض الآيات القُرآنيَّة التي ورَدت في حقِّ النَّبيّ ﷺ، وبيَّنت حِرْصَه، واجتهادَه في التَّطَوُّع في العبادات، كما بَيَّنَت مُهِمَّتَه في الدَّعوة إلى الله، واجتهادَه، وتَطَوُّعَه في ذلك لتقْديم أفضل ما عنده ﷺ، حُبّاً لله، ورَحمةً وشَفَقةً على العباد. وتُشير الدِّراسة إلى أنَّ هذه الكِفايات غايةٌ في الأهمِّيَّة، وذاتُ نفْعٍ كبيرٍ إنْ اهْتَمَّ المرَبُّون بتَوْجيهها للمُتَرَبّين الصِّغار. وفيما يلي إيراد بعض تلك الآيات من القرآن الكريم، وقد أبْرَزَتْها الباحثة- بحسَب اجتهادها – تحت ثلاثة أنواعٍ من الكِفايات، وبيانها كالآتي:

---

[٧١٩] مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ. ج. ١: ٥١٣. رقم الحديث ٧٤٦.

[٧٢٠] القرآن. المزمل ٧٣: ٢٠.

[٧٢١] القرآن. الفتح ٤٨: ٢٩.

[٧٢٢] القرآن. الحجرات ٤٩: ١٠.

- **كِفاية الصِّفات الشَّخصِيَّة المتعَلِّقة بتَزْكية الذَّات من خلال التَّطَوُّع بالاجتهاد في العبادات:**

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[٧٢٣]، وهنا تَوْجيه للتَطَوُّع في قِيام الليل.

- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾[٧٢٤].

- وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾[٧٢٥].

- وقال تعالى: ﴿.. وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾[٧٢٦].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿.. فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾[٧٢٧].

- وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[٧٢٨].

في تلك الآيات الكريمة وغيرها كثير في القرآن الكريم تَوْجيه للنَّبيّ ﷺ، ولأُمَّته من بعده إلى تَمْتين العَلاقة مع الله، والالْتجاء إلَيْه في كلِّ حالٍ، فيَقْوى الوازِع الدِّينيّ بداخلِ الشَّخصِيَّة، فلا تَنْهَزِم روحيّاً، ولا مَعْنَوياً أمام الخُطوب، ولا تَتَشَكَّك في إيمانها أمام هَجمات دَعاوَى الباطل الزَّائفة الدَّاعية للتَّشْكيك بالخالق، وبالنَّبيّ ﷺ، وبصِحَّة الرِّسالة المحَمَّديَّة. فالتَطَوُّع في العبادات مثل التَّهَجُّد باللَّيل، وكَثْرةُ السُّجود والتَّسْبيح وتلاوة القرآن، وطَلَب العِلْم النَّافع المعين على تَحَرِّي الحقّ، وكَشْف الشُّبُهات، وتَعَلُّم دوام الشُّكْر، وحِفْظ

---

[٧٢٣] القرآن. الإسراء ١٧: ٧٩.

[٧٢٤] القرآن. النحل ١٦: ٩٨.

[٧٢٥] القرآن. الحجر ١٥: ٩٨.

[٧٢٦] القرآن. طه ٢٠: ١١٤.

[٧٢٧] القرآن. يونس ١٠: ٧٢.

[٧٢٨] القرآن. الزمر ٣٩: ٦٦.

المعروف لله أوّلاً ثمَّ للبَشَر، تَتَزَكَّى النَّفس لتُصبح مُحَصَّنَةً بِحِصْن الإيمان، وعَصِيَّةً على الانحراف، وهذا من أهَمِّ الكِفايات المطلوب غَرْسها في المتربّين الصِّغار، فقُوَّة الاعتقاد بالله تُؤَدِّي إلى قُوَّة الاعتماد عليه.

- **كِفاية الصِّفات الشَّخصِيَّة المتَعَلِّقة بإدارة المشاعِر والانفعالات النَّفسيَّة:**

- قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾[٧٢٩].

- وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾[٧٣٠].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾[٧٣١].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾[٧٣٢].

- وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢﴾[٧٣٣].

- وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾[٧٣٤].

- وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾[٧٣٥].

- وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ٥﴾[٧٣٦].

---

[٧٢٩] القرآن. الأعراف ٧: ٢٠٠.

[٧٣٠] القرآن. فصلت ٤١: ٣٦.

[٧٣١] القرآن. غافر ٤٠: ٥٦.

[٧٣٢] القرآن. التوبة ٩: ١٢٩.

[٧٣٣] القرآن. النحل ١٦: ٨٢.

[٧٣٤] القرآن. النحل ١٦: ١٢٧.

[٧٣٥] القرآن. المزمل ٧٣: ١٠.

[٧٣٦] القرآن. المعارج ٧٠: ٥.

في هذه الآيات تَوْجيه لإدارة مَشاعر الانفعال بطريقةٍ إيجابيَّةٍ، وهو ما تَتَحَدَّث عنه مهارات القرن الحادي والعشرين، ليَنْعم الفرد وخاصَّة المتربّي الصَّغير بالصِّحة النَّفسيَّة والفِكريَّة والجَسَدِيَّة أيضاً. فيتَعَلَّم المتربّي الصَّغير ألَّا يتأثَّر بمشاعر الحُزن والإحباط واليأس إنْ صادَف صُدوداً عن آرائه، وتَفاعُلاً سَلْبيّاً مع مواقفه، وألَّا تَتَحوَّل مشاعره إلى غَضَبٍ أحمقَ، أو حِقْدٍ على الآخَرين، أو تَتَسَبَّب بزَعْزَعةٍ في معتَقداته الصَّحيحة، بل يُدير مشاعرَه بطريقةٍ جميلةٍ فيها صَبرٌ وحِلْمٌ، ودافعيَّةٌ للتَّوَكُّل على الله. والإدارة الجيّدة والإيجابيَّة للانفعالات تُعين على الشُّعور بالاستقرار النَّفسيّ والسَّكينة.

- **كِفاية التَّواصُل مع الآخَرين:**

- قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[٧٣٧]
- قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾[٧٣٨].
- قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾[٧٣٩].
- وقال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[٧٤٠].
- وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧﴾[٧٤١].
- وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾[٧٤٢].

---

[٧٣٧] القرآن. الأعراف ٧: ١٩٩.

[٧٣٨] القرآن. الممتحنة ٦٠: ٨.

[٧٣٩] القرآن. الشعراء ٢٦: ٢١٥.

[٧٤٠] القرآن. الإسراء ١٧: ٢٤.

[٧٤١] القرآن. الأحزاب ٣٣: ٤٧.

[٧٤٢] القرآن. الذاريات ٥١: ٥٥.

- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾[٧٤٣].
- وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾[٧٤٤].
- وقال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٨٩﴾[٧٤٥].

في هذه الآيات إشاراتٌ إلى معنى الكِفايات التَّربوية في التَّعامل مع الآخَرين، وهي من الكِفايات المهِمَّة في حياة الفرد عموماً، وفي حياة المتربِّي الصَّغير خاصةً، فيَتَحَرَّى حُسْن الأدب والأخلاق في التَّعامل مع الوالدَيْن، ومع المعَلِّمين، والنَّاس أجمعين، والتَّواضُع مع الأصحاب، ويَتَعلَّم الجود والكَرَم والعَطْف على المحتاج، ويَتَعَلَّم كيف يكون سَبَباً في إدْخال البُشْرى والسُّرور على مَن حَوْله.

إنَّ من رَحمة الله تعالى أنْ فَتَح في شريعة الإسلام أبواباً كثيرةً للتَطَوُّع في مختَلف العبادات، والمعاملات، وكلّ جوانب الحركة في الحياة على الصَّعيد الشَّخْصي، وعلى الصَّعيد المجتمَعي، بل والكَوْني، فيستطيع المسْلِم الدخولَ إلى عالَم التَّطَوُّع الجميل من أيّها شاء، رغبةً في ثواب الله عزَّ وجلَّ ورِضْوانه، وستَتَّضِح أكثر مَعالِم وجوانب عالَم التَّطَوُّع الواسِع في الصَّفحات اللَّاحقة من هذه الدِّراسة.

٣،٤ المبحث الثَّالِث: التَّطَوُّع بين عَطاء السَّلْب وعَطاء الإيجاب:

مُعْظَم الكتابات التي تناولت مفهوم التَّطَوُّع؛ فيما ظَهَر للباحثة من خلال الاطِّلاع والاسْتقراء لكثيرٍ ممَّا كُتِب في مَوْضوع التَّطَوُّع تَأليفاً وتحليلاً واستنباطاً وتوصياتٍ؛ على الرَّغم من غَزارة تلك المؤَلَّفات والمقالات والأبحاث التي تناولت الموضوع من شَتَّى جوانبه، وتَصْنيفاته، وفُروعِه، ومجالات تَطْبيقه؛ تُركِّز على إبراز جانبٍ واحدٍ من العَطاء، يُمكن تَسْميته في هذه الدِّراسة "بعَطاء الإيجاب"، ويُقْصَد به أنْ يَمْلِك الفرد شَيْئاً

[٧٤٣] القرآن. الضحى ٩٣: ٩-١٠.

[٧٤٤] القرآن. المزمل ٧٣: ١٠.

[٧٤٥] القرآن. الزخرف ٤٢: ٨٩.

ماديّاً أو عَيْنِيّاً أو مَعْنَويّاً فيُقدِّمه تَطَوُّعاً لخدمة الغَيْر، فيصير بذلك مُتَطَوِّعاً، ومَن لا يَمْلِك شيئاً من ذلك لا يَتَمَتَّع بوَصْف المتَطَوِّع.

وقد وَجَدت الباحثة أنَّ هذا فَهْمٌ قاصِرٌ لحقيقة التَّطَوُّع، إذ إنَّ هناك جانباً آخَر للعَطاء، وهو ما أُطْلِق عليه في هذه الدِّراسة "تَطَوُّع عَطاء السَّلْب"[٧٤٦]، وهو ما لم تَقِف الباحثة في حُدود اطِّلاعها على ذِكْره في أيِّ مَرْجِعٍ أو مَصْدَرٍ سابقٍ، وسيأتي بيانه بالتَّفْصيل في الفَقَرات اللّاحقة، مع ذِكْر تأصيله وأمْثلته حسبما اسْتدلَّت عليه الباحثة من آيات القرآن الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة المطَهَّرَة.

في تَطَوُّع عَطاء السَّلْب يَحْرِص المرء إمَّا على التَّنازُل طَواعيةً عن حقٍّ من حقوقه بشكلٍ جزئيٍ أو كاملٍ، وهو قادرٌ على أخْذه، لكنَّه يَتنازل عنه تَغْليباً لمصْلحة الطَّرف الآخَر، وقُربةً إلى الله تعالى، أو أنَّه يَمْنع نفْسه طَواعِيةً عن الإتْيان بعملٍ ما قد يُلْحِق ضَرَراً بالآخَر، أو يسبِّب له حَرَجاً، أو حُزْناً، فهو بهذا المنْع يُلزِم نفْسَه حَدَّها، ويَكُفّ شَرّها، ورُبما شَرَّ غيرها عن الآخَرين، مانِحاً إيَّاهم مساحةً من الأمْن، والأمان، والرَّاحة، والطُّمأنينة.

وعَطاء السَّلْب هذا، أو بعبارةٍ أخرى " عَطاء المنْع أو التَّرْك"، باستطاعة كلّ فردٍ عَمَله، ويَنْسجم مع تعريف التَّطَوُّع لأنَّ المنْع يتَطَلَّب من المتَطَوِّع به بَذْل جُهدٍ كي يُحَقِّق عَطاءه الذي يَخْدم به نَفْسه، كصِيام التَّطَوُّع مَثلاً، أو يَخْدم به غيْره كالعَفو عن المسيء، والتَّجاوز عن المعْتدي.

والأمثلة والشَّواهد على هذا النَّوع من العَطاء، أي "عَطاء السَّلْب"، مبسوطةٌ بكَثْرةٍ في القرآن الكريم، وفي السُّنَّة النَّبوِيَّة الشَّريفة، وكذلك في سِيرة السَّلَف الصَّالح رضوان الله عليهم. وسيَتِمّ الاقْتصار على ذِكْر نماذج من هذا النَّوع من التَّطَوُّع حسبما تبيّن في هذه الدِّراسة على القرآن الكريم والسُّنَّة المطَهَّرَة.

---

[٧٤٦] انظر ص ٢٦ من الفصل الأوَّل من هذه الدِّراسة.

وتأصيل هذا المفهوم استَخْرَجَتْه الدِّراسة من قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾[٧٤٧]، حيث نَبَّهَت الآيات الكريمة الى أهمِيَّة تصحيح المفهوم السَّائد في الأذهان من أنَّ سِعَة الرِّزْق، وإغْداق النِّعْمة هو إكرامٌ للمُنعَم عليه، وتَقْتيرها أو نَقْصانها هو إهانةٌ، وإذْلالٌ للمَحْروم منها، لكنَّ الأمْر في حقيقته ليس على هذا النَحْوَ في تَقْدير العَزيز العَليم، وفي مَوازين الحَقّ والدِّين القَويم، ولذلك جاء الرَّد القرآني بلَفْظ الزَّجْر والرَّدْع "كلّا" ليُبْطِل ذاك الاعتقاد الخاطئ ويُفنِّده[٧٤٨]. وفَصَّل الإمام الرَّازي تَفْصيلاً دَقيقاً في مسألة الابتلاء بالرِّزْق عَطاء ومَنْعاً، وحَمْله على أنَّه إكرامٌ أو إهانةٌ كما يَظُنّ العامَّة، فقال في تفسير تلك الآيات: " لَمَّا قَالَ فِي الْقِسْمِ الأَوَّل: فَأَكْرَمَهُ ... فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، يَجِبُ أَنْ يَقُولَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي: فَأَهَانَهُ فَيَقُولُ: رَبِّي أَهانَنِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، وَالْجَوَابُ: لِأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ: أَكْرَمَنِ صَادِقٌ وَفِي قَوْلِهِ: أَهانَنِ غَيْرُ صَادِقٍ، فَهُوَ ظَنَّ قِلَّةَ الدُّنْيا وَتَقْتِيرَهَا إِهَانَةً، وَهَذَا جَهْلٌ وَاعْتِقَادٌ فَاسِدٌ، فَكَيْفَ يَحْكِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ عَنْهُ"[٧٤٩]!

فالقرآن الكريم يُرَبّي أهْله تَربيةً إيمانيةً فِكْريّةً سلوكيّةً، والله سبحانه وتعالى سَمَّى كِلا الحالَيْن من الغِنى والفَقْر ابتلاءً[٧٥٠]، وكِلاهما عَطاء، ليَنْظر العبد حين غِناه: أيَشْكُر أم يَكْفُر[٧٥١]؟، وحين فَقْرِه وحِرْمانه: أيَجْزَع أم يَصْبِر[٧٥٢]؟، فإذا كان وَهْبُ النِّعْمة عَطاء، فسَلْبها وتَقْتيرها هو كذلك عَطاء، لأنَّه قد يجْعل المرْءَ في أمانٍ من الفِتْنة في الدِّين، والوقوع في إثْم الشُّح والبُخل إنْ مَلَك ولم يَعْطِف على المحتاج، فالسَّلْب إذن حمايةٌ له،

---

[٧٤٧] القرآن. الفجر ٨٩:١٥-١٨.

[٧٤٨] ابن عاشور. ١٩٨٤م. *التحرير والتنوير*. ج. ٣٠. ص. ٣٢٥. الشعراوي. د.ت. *تفسير الشعراوي*- الخواطر. ج. ١٥. ص. ٩٤٥٧.

[٧٤٩] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*.ج.٣١. ص. ١٥٦.

[٧٥٠] الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ٥. ص. ٥٣٤.

[٧٥١] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٦. ص ١٥٥٦.

[٧٥٢] الزمخشري. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٤. ص. ٧٤٩.

ورَحْمَةٌ به[٧٥٣]، والله أعْلَم بعباده، وربَّما لهذا السَّبب ذَكَر مسألة إكْرام اليَتيم، والحَضّ على إطعام المساكين بعد كلمة الرَّدْع والزَّجْر[٧٥٤]، فمَن أطاع الله في أمْر هؤلاء حال فَقْرِه وغِناه، كان المكرَّم عند الله، ومن عَصى الله فيهم، كان المهان عند الله، فالإكْرام من الله والإهانة تَدَوْر حيثما يَدَوْر الانقياد والاتِّباع لأمْره سبحانه من عَدَمِه[٧٥٥].

ناحيةٌ أخرى تؤَيِّد مَفهوم عَطاء السَّلْب كما تَعْرِضه الدِّراسة، يُفْهَم من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[٧٥٦]، فالآية تَلْفِت نَظَر الإنسان إلى عَظيم نِعَم الله تعالى عليه، المنْظورة، وغَيْر المنْظورة، لذا يَقِف عاجِزاً عن إحْصائها، وبالتَّالي عن شُكْرِها، ولكنَّ الله برحمته يَغْفر هذا التَّقْصير في الشُّكْر ويَرْحم[٧٥٧]، فيُوَسِّع على النَّاس في النِّعم، ولا يَحْرِمهم منها بسبب قُصور الشُّكْر، وتَوالي المعاصي[٧٥٨]، وورَد في تفسير القُشيري: "الموجودات لا تُحْصوها لتَقاصُر عُلومكم عنها، وما هو من نِعَم الدَّفْع فلا نهاية له"[٧٥٩]، وجاء في الحاشية شرح المقصود "بنِعَم الدَّفْع" أيْ: "من قُصور الإنسان أنَّه لا يَشْعر إلَّا بنِعَم المنْح، ولكنَّ نِعَم الدَّفْع التي لا تَتَناهى لا يَكاد الإنسان يَشْعر بها الْبَتة، وبالتَّالي لا يَشْكُر عليها ... وما أكْثرها!"[٧٦٠]، والشَّاهد في هذا التَّفسير كما تَتَبَيَّن الدِّراسة: أنَّه كما اعتُبِر الدَّفْع نِعمةً لأنَّه يَحمي المرء من نِقْمةٍ قد تَحلُّ به عاجِلاً أو آجِلاً، فكذلك مجاهَدَة المرء نَفْسه في دَفْع شَرٍّ قد يَقع منه على الآخَر، أو أذىً يَتَسَبَّب به، أو حَرَجاً ممَّا لا يليق يُنْزِله على مَن حَوْله، أو حَبْس غَضَبه، أو منْع نَفْسه

---

[٧٥٣] الشعراوي. د.ت. *تفسير الشعراوي- الخواطر*. ج. ٣. ص. ١٩٢٩.

[٧٥٤] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٩٢٣.

[٧٥٥] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*-إحياء التراث. ج. ٥. ص. ٢٥١.

[٧٥٦] القرآن. النحل: ١٦:١٨

[٧٥٧] القشيري د. ت. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. ج. ٢. ص. ٢٩٠.

[٧٥٨] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*-إحياء التراث. ج. ٣. ص. ٧٥. الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٦٠٠.

[٧٥٩] القشيري د. ت. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. ج. ٢. ص. ٢٩٠.

[٧٦٠] المصدر نفسه.

طَواعيةً من أخْذ كامِل حَقِّه، أو بَعْضه الذي له عند الآخَر، وسَلْبها ذلك الحَقّ، فإنَّ ذلك كلّه مهما تَعَدَّدَت صُوَره يُعَدّ تَطَوُّعاً في خيرٍ يَستفيد منه الطَّرف الآخَر، ويُؤجَر عليه فاعِلُه.

وما تَوْجيه الآيات الكريمة للنَّبيّ مُحَمَّد ﷺ لسلوك الصَّبر على الكفَّار والمعاندين، والهَجْر الجميل لهم، في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾[٧٦١]، ودَعْوَته للصَّفْح الجميل عمَّن أساء إليه كما في قوله تعالى: ﴿.. فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾[٧٦٢]، إلّا من باب مُعاملة أولئك المعاندين بمزيدٍ من حُسْن الخُلُق والإمْهال لَعَلَّهم يَرْجِعون عن باطِلِهم فيُؤمنون، فهي دَعوة خيرٍ من رَبِّ العِزَّة لخير البَريَّة ﷺ لأنْ يَحْتَمِل المكرَهات، ويتَغاضى عن الهَفَوات ابتغاء وجْه الله، وأمَلاً في هِدايتهم إلى اتِّباع الحَقّ، وهذا يَتَّفِق مع مَعْنى عَطاء السَّلْب.

ومِن شَواهد السُّنَّة النَّبويَّة المطَهَّرَة التي تَسْتَدِلُّ بها الدِّراسة على مفهوم تَطَوُّع عَطاء السَّلْب ما ورَد عن النَّبيّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ: " ... وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً"[٧٦٣]، ففي هذا الحديث تَقريرٌ لمبدأ المكافأة على ترْك فِعْل السَّيِّئة، وهذا كرمٌ من الله ورحمةٌ، إذ إنَّه يُكافئ المرء على خَلَجات نَفْسه إنْ حَدَّثَته بعَمَل سوءٍ فلم يَسْتجب، بل مَنَع نفْسه من المضِيّ قُدُماً في تنفيذ ذاك السّوء، وذلك خَشْيةً لله، وتَقَرُّباً إليه، وقد يكون في فِعْل هذه السَّيِّئة ضَرَرٌ على عباد الله، أو ضررٌ على نفْسه، فكأنَّه بامْتِناعه عن فِعْل السَّيِّئة قد تَصَدّق بخيرٍ على نَفْسه لِتَنْعَم بعافيةٍ من الذَّنْب، أو على غيره فيَتَمَتَّع بأمانٍ من أثَر السَّيِّئة، فكَتَب الله له بذلك أجْراً، والصَّدَقة تَطَوُّعٌ محمودٌ.

---

[٧٦١] القرآن. المزمل ٧٣: ١٠.

[٧٦٢] القرآن. الحجر ١٥: ٨٥.

[٧٦٣] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري. بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ*. ج.٨: ١٠٣. رقم الحديث ٦٤٩١. ومسلم. د.ت. *صحيح مسلم. بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ*. ج. ١:١١٧. رقم الحديث ١٣١.

وحديثٌ آخر يَعْضُد مَفهوم تَطَوُّع عَطاء السَّلْب حين قال ﷺ: " على كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ"[٧٦٤]، فقَرَّر ﷺ أنَّ مفهوم الصَّدَقة لا يَتَوَقَّف على الإتيان بفِعْلٍ إيجابي، بل يَتَعدَّاه إلى اعْتبار الإمْساك عن الشَّر صدقةٌ يُؤجَر عليها فاعِلُها كما أنَّ للمُتَصَدِّق بالمال أجْراً[٧٦٥]، والإمساك يعني الامتناع، أو الكَفّ، أو التَرْك عن فِعْل ما يَتَسَبَّب بالضَّرَر للنَّفْس وللآخَر. وقال ابن بطالٍ: " فِيهِ حُجَّةٌ لِمَنْ جَعَلَ التَّرْكَ عَمَلًا وَكَسْبًا لِلْعَبْدِ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ إِنَّ التَّرْكَ لَيْسَ بِعَمَلٍ، إِنَّ الْحَسَنَةَ إِنَّمَا تُكْتَبُ لِمَنْ هَمَّ بِالسَّيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا إِذَا قَصَدَ بِتَرْكِهَا اللَّهَ تَعَالَى، وَحِينَئِذٍ فَيَرْجِعُ إِلَى الْعَمَلِ وَهُوَ فِعْلُ الْقَلْبِ"[٧٦٦]. ونَبَّه العلماء إلى أنْ أجْر الصَّدَقة يَلْحَق المُمْسِك عن السَّيِّئة التارِك لها إذا كان فَعَل ذلك مُخْتاراً، أمَّا إذا "ترك السَّيِّئة مُكْرَهاً على تَرْكِها، أو عاجِزاً عنها فلا تُكْتَب له حَسَنةٌ، ولا يَدْخُل في معنى هذا الحديث"[٧٦٧].

وتَسْتَدِلّ الدِّراسة ممّا تَقَدَّم من أقوال العلماء في شَرْح الحديثَيْن السَّابقَيْن على تَحَقُّق مَفهوم "تَطَوُّع عَطاء السَّلْب"، حيث اعتُبِر التَّرْك عَمَلاً، وحُضور النِّيَّة في هذا التَّرْك لتكون ابتغاء وَجْه الله ماثِلٌ، وأنَّ العَبْد يَفْعَله اختياراً لا كَرْهاً ولا إجباراً.

وعلى هذا النَّهْج تَكْشِف الدِّراسة أنَّ التَّطَوُّع في الخير يَنْقَسِم إلى شِقَّيْن: عَطاء إيجابٍ، وعَطاء سَلْبٍ؛ ففي كلٍّ منهما عَطاء، ولكنَّ العَطاء في الأوَّل يعني إتْياناً بعَمَلٍ إيجابي وتقديم شَيءٍ ما، وفي الثَّاني تَرْكاً ومَنْعاً وتَوَقُّفاً عن عَمَلٍ ما، في تَرْكِهِ تحقيق مَنْفعةٍ، فيكون المَنْع حينها عَطاء يُؤجَر فاعِله.

---

[٧٦٤] البخاري. ١٤٢٢هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الزَّكاة. بَابٌ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ. ج ٢ :١١٥. رقم الحديث ١٤٤٥.

[٧٦٥] النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجّاج. ج. ٧. ص.٩٤.

[٧٦٦] ابن حجر. ١٣٧٩هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٠. ص. ٤٤٨.

[٧٦٧] ابن دقيق العيد. ٢٠٠٣م. *شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النَّبويَّة*. ص. ١٢٣.

وفي تَطَوُّع عَطاء الإيجاب، وتَطَوُّع عَطاء السَّلْب جُهدٌ مبذولٌ، وعَمَلٌ بالجَوارح أو بالقَلْب أو بهما معاً، بل إنَّ مُجاهَدَة النَّفْس في التَّرْك لأمْرٍ ما تكون أحياناً أصْعَب وأشَقّ من الإتيان بفِعْل المنْح.

وفي تعبير ابن عَطاء الله السَّكَندري رحمه الله تعالى حين ذَكَّر بأقْدار الله عزَّ وجلَّ تَحْذيرٌ لرؤية المنْع على أنَّه عَطاءٌ، حيث قال: " ربَّما أعطاك فمَنَعَك، وربَّما مَنَعَك فأعطاك، ومَتى فُتِحَ لك باب الفَهْم في المنْع، صار المنْع عَيْن العَطاء"[٧٦٨]، فنَظَر رحِمَه الله تعالى إلى الحِرْمان والمنْع على أنَّ كِليْهما عَطاء، ولا يُدْرِك هذا المعنى الدَّقيق إلَّا مَن قَوِي إيمانُه، وارْتَقى فِكْره، ورَقَّت مَشاعِره، ونَظَر إلى أقْدار الله كُلّها نَظْرَة العَبْد المؤْمِن الواثِق برحمة رَبّه المتَوَكّل عليه.

وفي الفَقْرات الآتية بيانُ أمثلةٍ من القرآن الكريم لنماذج ينطبِق عليها وصْفُ "تَطَوُّع عَطاء السَّلْب" بحسَب ما تقدّم من تعريفه وشرْحه.

٣،٤،١ نماذجُ من تَطَوُّع عَطاء السَّلْب في القرآن الكريم:

عديدةٌ هي صفات المؤمنين التي امتدحها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، منها ما ورَد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[٧٦٩]، حيث أثْنى الله عزَّ وجلَّ في صَدْر الآية على المبادِرين بالإنفاق في السَّرَّاء والضَّرَّاء، وهو تطَوُّعٌ من قبيل عَطاء الإيجاب، وقد فسّر الإمام الرَّازي[٧٧٠] رحمه الله تعالى السَّرَّاء والضَّرَّاء على ثلاثة أوْجُه: الأوَّل: أنَّه عَطاءٌ مستمرٌ في حال الغِنى واليُسر، وفي حال الفقر والعُسْر، والثَّاني يشير إلى الحالة النَّفسيَّة

---

[٧٦٨] ابن عَطاء الله، أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن عَطاء الله السكندري. ١٤٠٨هـ. *الحِكَم العطائية شرح ابن عبّاد النفري الرُّندي*. إعداد ودراسة وتحقيق: مُحَمَّد عبد المقصود هيكل. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر. ص ٢٦٠.

[٧٦٩] القرآن. آل عمران ١٣٤:٣.

[٧٧٠] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٩. ص. ٣٦٧.

للمُنْفِق: حيث لا يتأثَّر إنْفاقه وإحسانه إلى النَّاس بتلك الحالة، فهو يُنْفِق سواءٌ كان في سرورٍ أم في حُزنٍ، والوجه الثَّالِث: أنَّ هذا الإنفاق قد يكون مصدر سرورٍ للمُنْفِق لأنَّه يتَّفِق مع طَبْعه المحبّ للإنفاق، وقد يخالف طَبْعَه الذي يميل إلى عدم الإنفاق، ومع ذلك يفْعَله ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ. ثمَّ عَرَضَت الآية نوعاً آخَر من التَّطَوُّع تمثَّل في صِفَتَيْن هما: كَظْم الغَيظ، والعَفو عن النَّاس، وكِلتا الصِّفَتَيْن تتطَلَّب بذْل جُهدٍ للقيام بهما، فكَظْم الغيظ يعني "حبْس أشدّ الغضب أو سَوْرته في الصَّدر، وتحمُّل حرارته وشدّته"[٧٧١]، وقيام الكاظِم بالتَّخلّي طَواعيةً عن إنفاذ غَضَبه متجَمّلاً بالصَّبر والحِلْم، ثم يُتوّج ذلك بالعفو عمَّن أساء إليه أو ظَلَمه، مع قُدرته على الرَّد، كلّ ذلك يمثِّل صورةً من صور تَطَوُّع عَطاء السَّلْب، حيث تَنازل طواعيةً عن حقّه، وكفَّ الضَّرر الذي قد يلْحَق بخصمه، وعفا عنه طمعاً ورغبةً في ثواب الله عزَّ وجلَّ، فاستحقَّ بهذه الخِصال الحميدة أنْ يكون من المحسنين الذين فازوا بمحبَّة الله عزَّ وجلَّ لهم، وهذا ما اختتمت به الآية " والله يحِبُّ المحسنين"، وأيُّ فضْلٍ أعظم من هذا الفضْل.

ولَعَلَّ في التَّعبير بصيغة اسم الفاعِل في " الكاظمين" و" العافين" ما يشير إلى استمراريةٍ وثبوتٍ[٧٧٢] في فِعْل هذه الخِصال، ومداومةٍ عليها. وشأن العفو عن المسيء والصَّفح عنه شأنٌ عظيمٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وما هو إلَّا لَونٌ من ألوان تَطَوُّع عَطاء السَّلْب، وهي صفةٌ ملازِمةٌ لأهل الإيمان والفضْل لا تنْفكّ عنهم، ولذلك ورَد في موضعٍ آخَر من كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[٧٧٣]، ففيها مَدْحٌ وثناءٌ على مَن إذا غَضِبوا جادوا بالمغفرة مرةً تِلو أخرى على مَن أساء إليهم، وتجاوَزوا عن ذنْبه، حتَّى صارت المغفرة طَبْعَهم، والصَّفحُ سَجيّتَهم[٧٧٤]، ولذلك جاء التَّعبير

---

[٧٧١] جبل. ٢٠١٢م. *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. باب الغين والظاء وما يثلثهما. ج. ٣ ص. ١٦٢٨

[٧٧٢] السامرائي. ٢٠٠٧م. *معاني الأبنية في اللُّغة العربية*. ص. ٤٥.

[٧٧٣] القرآن. الشورى ٤٢:٣٧.

[٧٧٤] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ٧٥٩.

بصيغة الفعل المضارع في "يغفرون" لتُفيد الحدوث والتَّجدُّد[٧٧٥]، فهُم بهذا العفو والمغفرة مَنَحُوا الآخَر مساحة أمانٍ وطُمأنينةٍ، من شأنها التَّقريب بين النُّفوس المتنافرة، وإزالة الضَّغائن، وإشاعة المودَّة.

ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم الدَّالة على الأثَر الطيّب الذي يخلفه تَطَوُّع عَطاء السَّلْب في صورة العفو والصَّفح، وتَكْشف عَلاقَته بكِفاية إدارة المشاعر، وكِفاية التَّواصُل مع الآخَرين، ما كان بين نبيِّ الله يوسُف عليه السَّلام وإخْوَته، حين كَظَم غيظه من افتراء إخوَته عليه، واتِّهامهم له بالسَّرقة، وهم يجهلون أنَّه يوسُف، حيث قال الله تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يوسُف فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾[٧٧٦]، فلَم يُعنِّف أو يعاقِب، وكان بمقدَوْره فِعْل ذلك، فهو صاحِب منْصبٍ في الدَّولة رفيعٍ، لكنَّه أحْسن في ضَبْط مشاعر الغضب والانفعال، فحقَّق بذلك كِفاية إدارة المشاعر عن طريق التَّطَوُّع بعَطاء السَّلْب، ومنَحَهم مساحةً من الأمان، فكأنَّه تَصَدّق عليهم بهذا الحِلْم وكتمان الضِّيق.

وفي مشهدٍ آخَر من قِصَّته عليه السَّلام حين اعترف إخوَته بذنبهم في حقِّه، وكاشَفَهم هو بحقيقة شخصيَّته، صَوَّرَت الآيات الكريمة مَشهداً عظيماً في حُسْن الخُلُق، ورُقيّ التَّسامح، قال تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيوسُف وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يوسُفۖ قَالَ أَنَا۠ يوسُف وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾[٧٧٧]، فمشاعِر الحِلْم التي تمتَّع بها يوسُف عليه السَّلام جَعَلته ينسِب الجريمة التي قام بها إخوَته حين ألْقوه في البئر إلى الجهل، ولم يعْمَد إلى تَوْجيه اتِّهامٍ لهم، وهذا سُمُوٌّ في الخُلُق، أثمر اعترافهم بخطئهم، وندَمِهم على ما كان منهم، ثمَّ توَّج

---

[٧٧٥] المصدر نفسه. ص. ١٠.

[٧٧٦] القرآن. يوسُف ١٢:٧٧.

[٧٧٧] القرآن. يوسُف ١٢:٨٩-٩٢.

نبيّ الله يوسُف عليه السَّلام حِلْمه عليهم بالصَّفح عنهم، وطلَبِ المغفرة والرَّحمة لهم من الله، وهذا سُمُوٌ في الإحسان.

وبَرَز في هذا المشْهد دَوْر التَّطَوُّع بعَطاء السَّلْب وعَلاقَته بكِفاية إدارة المشاعر السَّلْبيَّة، وتحويلها إلى مشاعر إيجابيَّةٍ أثمرت الصَّفح عن الإخْوة المذْنِبين، وامْتدَّت لتُعانِق كِفاية أخرى هي كِفاية التَّواصُل مع الآخَرين، حيث كان تَعامُلُه مع إخوَته بالحُسنى، فطَلَب لهم المغفرة من الله والرَّحمة.

وتُشير الدِّراسة إلى أنَّه حيثما ورَد في القرآن الكريم ذِكْر العَفو والصَّفح والمغفرة في حقِّ العباد تجاه الآخَرين فيُمكن عَدُّه من باب تَطَوُّع عَطاء السَّلْب، لأنَّ فيه تَفَضُّلٌ من العافي والغافِر على الطَّرف المسيء دون أنْ يَهَبَه شيئاً مَلموساً، وإنَّما هو اكتفى بالامتناع طَواعيةً عن الرَّدِّ وأخْذ ما له بحقٍّ.

كما يمكن الاستئناس بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[٧٧٨] لتأكيد معنى تَطَوُّع عَطاء السَّلْب، فالخِطاب في الآية وإنْ كان مُوَجَّهاً للنَّبيّ ﷺ إلّا أنَّ حَمْلها على العموم أوْلى كما نَصّ العلماء[٧٧٩]. فالله سبحانه وتعالى يُوجِّه نبيَّه الكريم عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام والأمَّة عموماً إلى الإغضاء والصَّفح عن الجاهلين، وهذا يَصُبُّ في معنى التَّطَوُّع بعَطاء السَّلْب، حيث الصَّفح والعفو وتَرْك ما للنَّفس من حقٍّ على الآخَر طَواعيةً، ويَنْدِب له ولأمَّته الدَّفْع بالخُلَّة التي هي أحسن، وقيل في معنى (هي أحْسَن) أي بالسَّلام[٧٨٠]، وقيل بالمصافحة عند التّلاقي[٧٨١]، وذَكَر ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنّ الله أمَرَ في هذه الآية بالصَّبر عند الغضب، وبالحِلْم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة، فبذلك التَّصرُّف الحكيم الحليم تنْقلب عداوة العَدو إلى خضوعٍ، فيصير كأنَّه

---

[٧٧٨] القرآن. فصلت ٤١:٣٤.

[٧٧٩] الشوكاني. ١٤١٤ هـ. *فتح القدير*. ج. ٤. ص. ٥٩١.

[٧٨٠] الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ٢٠. ص. ٥٢٩.

[٧٨١] الشوكاني. ١٤١٤ هـ. *فتح القدير*. ج. ٤. ص. ٥٩١.

وليٌّ حميمٌ، وصديقٌ قريب[٧٨٢]، وممّا قيل في هذا الصَّدد: " ادْفع الجَفاء بالوَفاء، وجُرْم أهل العصيان بحكم الإحسان"[٧٨٣].

فالمؤمن عند تَعَرّضه للإساءة يكون أمام خِياراتٍ ثلاثٍ للتَّعامل مع الإساءة والمسيء[٧٨٤]:

- الخِيار الأوَّل: أنْ يرد الإساءة بإساءةٍ مثلها، وهو حقٌّ مشْروعٌ لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ... ۝﴾[٧٨٥]،

- والخِيار الثَّاني: أنْ يصبر ثمَّ يردّ على الإساءة بالعفو، وهذا فِعْلٌ حسَن،

- والخِيار الثَّالِث: ألّا يكتفي بالعفو عن الإساءة، بل يرُدّ بالدَّفْع بالحسنى[٧٨٦]،

والخيار الثَّالِث هو الذي امتدَحَته الآية الكريمة، وندَبَته خُلُقاً راقياً يليق بنبيِّ الرَّحمة ﷺ، وبالمؤمنين من بعده لِما له من أثَرٍ طيّبٍ على النُّفوس حيث تنْقلب العداوة إلى المحبَّة، والبغضاء إلى المودَّة، ولِما فيه من إخماد الفِتْنة التي تَحرِق الوئام والسَّلام، وتُقوّم الأُخُوَّة الإيمانيَّة، والأُخُوَّة الإنسانيَّة. ولذلك عَظَّم الله شأن الذين يَقْدِرون على الدَّفْع بالحسنى، وهُم أهل الصَّبر، وأصحاب الفضائل والهِمَم العالية، والنُّفوس القوِيَّة[٧٨٧] الذين وُفِّقوا لحظٍّ عظيمٍ من الخير كما قال الزمخشري[٧٨٨].

---

[٧٨٢] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي*-إحياء التراث. ج.٤ ص. ١٣٤. الزمخشري. ١٤٠٧هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٤. ص. ٢٠٠. القرطبي. ١٩٦٤ م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج. ١٥. ص. ٣٦١.

[٧٨٣] القشيري د. ت. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. ج. ٢. ص. ٥٨٧.

[٧٨٤] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ١٢. ص. ١٣١٧.

[٧٨٥] القرآن. الشورى ٤٢:٤٠.

[٧٨٦] ابن عاشور. ١٩٨٤. *"التحرير والتنوير"*. ج. ٢٤. ص. ٢٩١.

[٧٨٧] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٢٧. ص. ٥٦٥.

[٧٨٨] الزمخشري. ١٤٠٧هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٤. ص. ٢٠٠.

وهكذا تؤكِّد الدِّراسة مرةً أخرى مفهوم تطوُّع عَطاء السَّلْب من خلال الصَّبْر على الإساءة، ثمَّ العفْو والصَّفْح برَجاء التقرُّب إلى الله تعالى ليكون بداية الإحسان، والدَّفْع بالحسنى الذي قد يُترجِمه صاحبه إلى تطوُّعٍ بعَطاء إيجابٍ.

كما أبرَزت آياتٌ أخرى المنزلة الرَّفيعة لتطوُّع عَطاء السَّلْب في صورة الصَّبْر والمغفرة، وجعلَتْه من الصِّفات الحميدة التي ترْفع شأن صاحبها، وله بها بُشْرى الخير، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[٧٨٩]، فبيَّنت الآية حقَّ المعْتدَى عليه في الانتصار لنَفْسه، لكنَّها حثَّته على التَّحلّي بكَريم الخُلُق الذي يَليق بالمسلم من خلال دَعْوته للتَّحَلّي بالصَّبْر والعفو والمغفرة، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[٧٩٠]. وجاء النَّدْب إلى التَّحَلّي بالعفو، ووُصِف بأنَّه أقرَب للتَّقوى في مَوْضعٍ آخَر في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿.. وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ..﴿٢٣٧﴾﴾[٧٩١]، وقيل إنَّ العفو قرينةُ التَّقوى، وأنَّهما متلازِمان، وكلّ مَن كان أقوى في العفو كان أقوى في التَّقوى[٧٩٢]. وكلّ هذه الصُّوَر هي في الواقع تجسيدٌ لتطوُّع عَطاء السَّلْب، فالمخاطَب هنا لديه الخِيار في أنْ يقْتَصّ أو أنْ يعفو، فإنْ اقتصَّ فهو حقّه، وإنْ آثر العفو وهو قادرٌ ألّا يفعل، فهو متَطَوّعٌ محسنٌ متَفضِّلٌ، يبتغي بهذا العمل رضوان الله عزَّ وجلَّ، وسيُكرمه الله تعالى بالفضْل والأجْر العظيم.

ولأنَّ الإنفاق في سبيل الله من جملة أهمِّ صفات المؤمنين الذين يرتجون التقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ، فقد تكَرَّر الثَّناء على المتَّصِفين به، فكَم هو جميلٌ أنْ يُبادِر المسلم بالعَطاء، ويسعى لأنْ يكون صاحِبَ يدٍ عُلْيا وسَخاءٍ، فيُنْفق مما آتاه الله تعالى من مالٍ في يُسْره، ولا يَبْخَل في ضيقه وعُسْره، ولكي يُقبَل هذا الإنفاق،

---

[٧٨٩] القرآن. النحل ١٦:١٢٦.

[٧٩٠] القرآن. الشورى ٤٢:٤٣.

[٧٩١] القرآن. البقرة ٢:٢٣٧.

[٧٩٢] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٢٣. ص. ٣٥١.

ويَكْتمِل أجْر المنفقين بَيَّنت الآيات أنَّ من صفة هذا الإنفاق أنْ يكون في سبيل الله، أي خالِصاً لله تعالى، وألّا يتْبعه مَنٌّ ولا أذى، حيث قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[٧٩٣]، وقال صاحِب الكشَّاف رحمه الله تعالى: " ومعنى «ثُمَّ» إظْهار التَّفاوت بين الإنفاق وتَرْك المنّ والأذى، وأنَّ تَرْكهما خيرٌ من نفْس الإنفاق، كما جَعَل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدُّخول فيه بقوله: (ثُمَّ اسْتَقامُوا)"[٧٩٤]، في إشارةٍ إلى ما جاء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ... ﴿١٣﴾﴾[٧٩٥]، وزاد العَلَّامة ابن عاشورٍ: "يعْني أَنَّ ثمَّ للتَّرْتِيب الرتبي لَا لِلْمُهْلَةِ الزَّمَنِيَّةِ، تَرْفِيعًا لِرُتْبَةِ تَرْكِ الْمَنِّ وَالْأَذَى عَلَى رُتْبَةِ الصَّدَقة"[٧٩٦]، وحدوثهما يُبْطِل ثواب الإنفاق[٧٩٧].

وقد حَذَّر النَّبيّ ﷺ من هذا التَّصرُّف القبيح، حيث جاء في الحديث الصَّحيح عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ"[٧٩٨]، ففي الحديث وعيدٌ مخيفٌ، إذ أخْبر ﷺ أنَّ مَن اتَّصف بتلك الصِّفات الذَّميمة فإنَّ الله لا يُكَلِّمه يوم القيامة تكليماً فيه سرورٌ منهم، ورِضاً عنهم[٧٩٩]، وأوَّل تلك الصِّفات في هذه الرِّواية "المنّان الذي يَتعالى على المُنْفَق عليه، ويَكْسِر قَلْبه، ويذلّه ليُشْعِره أنَّه متفضِّلٌ عليه بما أعطاه،

---

[٧٩٣] القرآن. البقرة ٢:٢٦٢-٢٦٣.

[٧٩٤] الزمخشري. ١٤٠٧هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ١. ص. ٣١١-٣١٢

[٧٩٥] القرآن. الأحقاف ٤٦:١٣.

[٧٩٦] ابن عاشور. ١٩٨٤. "*التحرير والتنوير*". ج. ٣. ص. ٤٢.

[٧٩٧] القرطبي. ١٩٦٤ م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج. ٣. ص. ٣٠٧. الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٧. ص. ٤٧. الخطيب، عبد الكريم يونس. د. ت. *التفسير القرآني للقرآن*. القاهرة: دار الفكر العربي. ج. ٢. ص. ٣٣٤.

[٧٩٨] مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالعَطِيَّة، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. ج. ١: ١٠٢. رقم الحديث (١٠٦).

[٧٩٩] ابن حجر. ١٣٧٩هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٣. ص. ٢٠٣.

وأسْدى إليه من معروفٍ، وما كان ينبغي له فِعْل ذلك لأنَّ المتَفَضِّل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى. وقال ابن حَجر أنَّ: "كُلَّ عَمَلٍ لَا يُقْصَدُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، وَأُرِيدَ بِهِ عَرَضُ الدُّنْيا فَهُوَ فَاسِدٌ وَصَاحبه آثِمٌ"[٨٠١].

وبِناءً على ما تَقَدّم، تَستدِلّ الدِّراسة من هذا التَّفسير أنَّ تَطَوُّع عَطاء السَّلْب قد يتفَوَّق أحياناً، وتترجَّح كَفَّته، وتَسْبِق درجته تطَوُّع عَطاء الإيجاب. فتَرْك المنّ والأذى يمثِّل عَطاء سَلْبٍ، والإنفاق يمثِّل عَطاء إيجابٍ، مع ملاحظة أنَّ المنّ من الكبائر[٨٠١]، وهو جزءٌ من الأذى، لكنّه نَصَّ عليه لكَثْرة وقوعه[٨٠٢]، وهو أنْ يَعْتَدّ المعطي بإحسانه على مَن أحسَن إليه[٨٠٣]، ويُعدِّد نِعَمَه عليه ويُقرِّعه بها، أو يتحدَّث بما أعطى أمام النَّاس، فيَبْلغ الخبر المعطَى أو المنفَق عليه فيتأذَّى[٨٠٤]. وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن فِعْل مِثل هذه الأمور في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ .. ﴿٢٦٤﴾﴾[٨٠٥]، إذ دلّت الآية على أنَّ فِعْل المنّ والأذى، أو أحدهما يُبطِل أجْر الصَّدَقة، ويُحبِط أجْرها، حيث تَخْرج هذه الطَّاعة العظيمة بسبب كلّ واحدٍ منهما عن أنْ تُفيد ذلك الثَّواب الجزيل[٨٠٦]. وهنا لَطيفةٌ أشار إليها العَلَّامة الرَّازي رحمه الله تعالى في تفسيره[٨٠٧] مفادها أنَّه ينبغي على المسلم أنْ يُوَطِّن نفْسه على حِفْظ الطَّاعة، وألّا يأتي بما يُفسدها، وذَكَر العَلَّامة السَّعدي رحمه الله تعالى أنَّ في هذه الآية دليلاً على أنَّ الأعمال السَّيِّئة تُبْطل الأعمال الحسنة[٨٠٨].

---

[٨٠٠] المصدر نفسه.

[٨٠١] القرطبي. ١٩٦٤ م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج. ٣. ص. ٣٠٨. الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٧. ص. ٤٢. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٣٢٦.

[٨٠٢] القرطبي. ١٩٦٤ م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج. ٣. ص. ٣٠٨.

[٨٠٣] الزمخشري. ١٤٠٧هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ١. ص. ٣١١.

[٨٠٤] القرطبي. ١٩٦٤ م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج. ٣. ص. ٣٠٨

[٨٠٥] القرآن. البقرة ٢:٢٦٤.

[٨٠٦] البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ١. ص. ١٥٨. الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٣٢٧.

[٨٠٧] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٧. ص. ٤٨.

[٨٠٨] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١١٣.

وترى الباحثة أنَّ هذا المعنى مُهمٌّ للغاية، وينبغي التَّأكيد عليه لاسِيَّما عند تعليم الصِّغار طاعة التَّطَوُّع لئلّا يُصيبهم الغُرور أو التَّكَبُّر إذا ما تطَوَّعوا، وليتَحلَّوا بالتَّواضع حين يقومون بطاعة تَطوُّعٍ لأنفُسهم، فلا يُصيبهم العُجْب بما فعلوا من تطَوُّعٍ في العبادة، أو حين يُقدِّمون خِدمةً للغير فلا يَمنّون عليه، أو يستصغرون مكانته، أو يمتهنونه. فالتَّواضُع من جُمْلة الأخلاق السَّامية التي ينبغي تَوْجيه المتَرَبِّي الصَّغير إليها.

أضِف إلى ذلك أنّ التَوْجيه إلى عَدَم المنّ والأذى فيه تذكيرٌ لهم بنِعَم الله عليهم، إذ اخْتَصَّهم دون غيرهم بالقدرة على البَذْل والعَطاء، في حين أنَّ غيرهم كثيراً يفتقرون وَفْرة النِّعم، ويعانون من قِلَّة ذات اليد، وكما ذَكَر الإمام الرَّازي في أدب المعطي حيث قال: " أَنْ لَا تَرَى عِزَّ نَفْسِكَ وَذُلَّ الْفَقِيرِ، بَلْ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ فِي نَظَرِكَ، فَتَرَى الْفَقِيرَ كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَالَ عَلَيْكَ رِزْقَهُ الَّذِي قَبِلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا .. ۝٦﴾[٨٠٩] "[٨١٠]. ولذا وَجَب عليهم الشُّكر لله، والامتنان لفضْله.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ غنيٌّ عن صَدَقة العباد لكنَّه يحثهم على ما يجعلهم أهلاً لثوابه ودخول جنَّته، ويدلّهم على ما يُقوّي أواصر الأُخُوَّة والألفة والتَّلاحم بينهم، فبَيَّن أنَّ ردّ السَّائلِ بلطفٍ وقوْلٍ معروفٍ دون صدقةٍ، وهذا عَطاء سَلْبٍ، خيرٌ من إعطائه صدقةً يتْبَعها أذى وضَرَرٌ وسَبٌّ وتَشَكٍّ، فإذا شقّ على السَّائل ردّه بغير مقصوده فصدرت منه بذاءة لسانٍ، خوطِب المسؤول بأنْ يتجاوز عن هذه البذاءة فيصْفح عنها، ويغْفرها للسَّائل المسيء، وبذلك يُشَكِّل تصرُّفه هذا تَطَوُّعَ عَطاء سَلْبٍ، إذ أحسن إلى السَّائل بالعفو فامْتنع، وهو قادِرٌ، عن الرَّد على إساءته. إنَّ الكلمة الطَّيِّبة، والرَّدّ الحسَن خيرٌ من الإعَطاء مع الإيذاء، وفي هذا تغليبٌ لجانب التَّسامح بين الأفراد، وممارسة حُسن الخُلُق، وهو أيضاً تعليمٌ لأدَب العَطاء.

---

[٨٠٩] القرآن. هود ٦:١١.

[٨١٠] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*. ج.٢٩. ص. ٤٥٤.

وهناك لفتةٌ أخرى تُبرِزها الدِّراسة وتَتَمَثَّل في بَيان مدى اهتمام القرآن الكريم بالجانب النَّفسيّ والشُّعوريّ للإنسان، وتغليبه على الجانب المادِّي النَّفْعيّ، فعلى الرّغم من أنَّ صَدَقة المتَصَدِّق ستنْفع المتصَدَّق عليه بدرجةٍ ما، إلَّا أنَّ القرآن صَرَف نَظَر المعْطي إلى الاهتمام ومراعاة الحالة النَّفسيَّة للآخِذ ومشاعره، وجعلها فوق اعتبار المنفعة المادِّيَّة التي سيجنيها حين يأخذ الصَّدَقة، يُفهَم هذا من لَفْظة (خير) التي وردت في الآية، فالكلمة الطَّيِّبة أثقل في الميزان من صدقةٍ مصحوبةٍ بأذىً في الشُّعور، وكسْرٍ للخواطر، وفي هذا تَوْجيه مهمٌ للأمَّة كي تتَنَبَّه لأهمِّيَّة المشاعر، وحساسيَّة الوجدان، فتُراعي هذا الجانب في التَّعاملات بين البشر.

وإذا كان هذا التَوْجيه عامّاً لكلّ الأفراد، فمن باب أوْلى أنْ يتَلَقَّفَه المرَبّون، ويولوه ما يستحقّ من الاهتمام، فيجعلوه كِفايةً ذات قيمةٍ عُلْيا يوجّهون غَرْسها في نفوس الصِّغار. إنَّ مهارة التَّحدُّث مع الآخَرين، وكيفيَّة التَّعامل والتَّواصُل معهم تُعدُّ واحدةً من أهمّ مهارات التَّعَلُّم الأساسيَّة في القرن الحادي والعشرين، وهي من الكِفايات المطلوبة للتَّعامل بنجاحٍ وكفاءةٍ مع ما يتطَلَّبه المجتمع المعاصِر[٨١١].

وقد جاء في قول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[٨١٢] ما يُفيد عِظَم الأجْر الذي يحصل عليه ذاك العافي عن المسيء إليه، المتسامِح في حَقِّه، الذي ألان جانبه، وتغاضَى عمّن أساء إليه، فعفا عنه، حيث نصّت الآية على أنَّ أجْرَه موكولٌ إلى الله تعالى "فأجْرُهُ عَلى اللهِ"، ومَن كان هذا حاله فليستبشِر بالثَّواب العظيم، بل قيل في "فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ" أنَّها عدةٌ مبْهمَةٌ لا يُقاس أمْرها في العِظَم[٨١٣].

---

[٨١١] رافدة الحريري. ٢٠٢٠. "مهارات القرن الحادي والعشرين.International Journal of Pedagogial Innovation. ج. ٨ العدد ١: يناير. ص. ٧٣.

[٨١٢] القرآن. الشورى ٤٢:٤٠.

[٨١٣] الزمخشري. ١٤٠٧هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٤. ص. ٢٢٩. البيضاوي. ١٤١٨هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*.. ج. ٥. ص. ٨٣.

ولاحَظَت الباحثة أنَّ في هذه الآية قُدِّم العفو الذي أسْمَته "تَطَوُّع عَطاء سَلْبٍ" على الإصلاح الذي هو "تَطَوُّع عَطاء إيجابٍ"، سواء كان الإصلاح بين العافي وبين الله، أي أصْلَح في عَلاقَته مع الله، أو بينه وبين النَّاس بحسب ما ورَد في التَّفاسير[٨١٤]، وفي هذا تزكيةٌ لعَطاء السَّلْب، ورفعٌ لمنزلته أمام عَطاء الإيجاب. ويؤيِّد هذا الاستدلال في أنَّ الطَّاعة والتَطَوُّع في المنع تَتَقدّم أحيانا على الطَّاعة والتَطَوُّع في المنْح ما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾[٨١٥]، فالآية تُشير إلى الذين أسلموا من أهل الكتاب[٨١٦] بأنهم سيُؤتَوْن أجْرَهم مرَّتَيْن بما صبروا وثَبَتوا على الإيمان، حيث إنَّ الباء هنا للسَّببية كما قال الشَّوكاني[٨١٧] رحمه الله تعالى، وما صَبرهم إلّا بامتناعهم عن الرَّد على أذى الكفَّار، والدَّفْع بالعفو والصَّفْح والمغفرة، وهو عَطاء امتناعٍ، ثمَّ مدَحَتْهم الآية بذِكْر الإنفاق الذي هو عَطاء إيجابٍ، أي يُنْفقون في الطَّاعات مِمَا رزَقَهم الله[٨١٨]، وعَدَّت الآية نفْس الامتناع عن الرَّد حسنةً[٨١٩]، وأنَّ دَفْع السَّيِّئة بالحسنةِ قد يَدخل في باب الإنفاق، ولكنَّه " إنفاقٌ من أطيب وأعزّ ما يملك النَّاس: إنه إنفاقٌ من سَعَة صَدْرٍ، ومن كَرَم خُلُقٍ، ممّا لا يُرْزقَه إلا أهْل الصَّبر والتَّقوى"[٨٢٠].

ويتَجلَّى تَطَوُّع عَطاء السَّلْب في هَيْئة "العفو" في مسألةٍ حَيويَّةٍ أخرى من المسائل الاجتماعيَّة تخصُّ الحياة الزوجيَّة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ

---

[٨١٤] القشيري د. ت. *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. ج. ٣. ص. ٣٥٧.

[٨١٥] القرآن. القصص ٢٨:٥٤.

[٨١٦] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي-إحياء التراث*. ج.٣ ص. ٥٣٩.

[٨١٧] الشوكاني. ١٤١٤ هـ. *فتح القدير*. ج. ٤. ص. ٢٠٦.

[٨١٨] البغوي. ١٤٢٠هـ. *تفسير البغوي-إحياء التراث*. ج.٣ص. ٥٣٩.

[٨١٩] الرازي. ١٤٢٠هـ. *مفاتيح الغيب*.ج.٢٤. ص. ٦٠٧.

[٨٢٠] الخطيب. د.ت. *التفسير القرآني للقرآن*. ج. ٢. ص. ٥٨٧.

إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٧﴾[٨٢١]، فأوْضَحَت الآية حَقَّ المرأة المطلَّقة في الحصول على نِصْف المهر إذا طُلِّقت قبل البناء بها (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) ، وهذا من كَمال احترام الشَّريعة الإسلاميَّة الغرّاء للمرأة، وأعطاها الشَّارِع الحقَّ في أنْ تعفو إنْ شاءت، فتَتَنازل عن نِصف الصَّداق (إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ) تَطَوُّعاً منها وتَفَضُّلاً وإحساناً، وبإمكانها ألّا تفعل، فالخِيار لها. كما ذَكَّر الشَّارِع الحكيم مَن بيده عقدة النِّكاح (وهو الزَّوج على الصَّحيح[٨٢٢]) بأنَّه أوْلى بسلوك هذا الفضل (أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ)، فأهاب به أنْ يتنازل للمطلَّقة عن النِّصف الثَّاني من المهر، فيؤدِّيه إليها كامِلاً[٨٢٣]، وفي هذا استنهاضٌ لمكارم الأخلاق، وكمال المروءة. فالآية خاطَبَت الرِّجال والنِّساء من الأزواج، ورغَّبَت المطلِّقين منهم بممارسة العفو من باب الفَضل والإحسان والمعروف، ولن يَندم مَن فَعَل ذلك لِما وردَ عن النَّبيّ ﷺ حيث قال: "... وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا.."[٨٢٤].كما أرشدتهم الآية إلى عَدم نسيان الفَضل بينهم، حيث وردَ في تفسير الفَضل: " هو أعلى درجات المعاملة، لأنَّ معاملة النَّاس فيما بينهم على درجتَيْن: إمَّا عَدْلٌ وإنصافٌ واجبٌ، وهو: أخْذ الواجب، وإعْطاء الواجب، وإمَّا فضْلٌ وإحسانٌ، وهو إعْطاء ما ليس بواجبٍ، والتَّسامح في الحقوق، والغَضّ ممّا في النَّفس، فلا ينبغي للإنسان أنْ ينسى هذه الدَّرجة، ولو في بعض الأوقات، وخصوصاً لِمَن بينك وبينه معاملةٌ، أو مخالَطةٌ، فإنَّ الله مُجاز المحسنين بالفَضل والكَرم، ولهذا قال: (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)"[٨٢٥]. فالتَّسامح في الحقوق ما هو إلّا

---

[٨٢١] القرآن. البقرة ٢:١٣٧.

[٨٢٢] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١٠٥.

[٨٢٣] الشوكاني. ١٤١٤هـ. *فتح القدير*. ج. ١. ص. ٢٩٢. ابن عاشور. ١٩٨٤. *"التحرير والتنوير"*. ج. ٢، ص. ٤٦٣. الشعراوي. د.ت. *تفسير الشعراوي*– الخواطر. ج. ٢. ص. ١٠١٩.

[٨٢٤] مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. كتاب البِر والصلة والآداب، باب اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ. ج. ٤:٢٠٠١. رقم الحديث (٢٥٨٨).

[٨٢٥] السعدي. ٢٠٠٠م. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص. ١٠٥.

تَطَوُّع عَطاء سَلْبٍ يَنمّ عن أخلاقٍ كريمةٍ، ونفْسٍ عفيفةٍ، وهو من الأعمال الصَّالِحة التي يُثاب عليها فاعِلها أيَّما ثواب.

تؤكّد الأدلَّة السَّابقة مكانة وأهمِيَّة التَّطَوُّع بعَطاء السَّلْب، وأنَّ جوهره مرتبطٌ بواحدةٍ من أهمِّ المهارات والكِفايات التي تُركِّز عليها أساليب التَّرْبية الحديثة لإنسان القرن الحادي والعشرين، وهي ما يُعرَف ب" كِفاية إدارة المشاعر" والذي يُعبِّر عن الذَّكاء الاجتماعيّ أو الذَّكاء العاطفيّ[٨٢٦] أو الذَّكاء الوجدانيّ، فكُلُّها مُسمَّياتٌ تَصُبُّ في معنى واحدٍ يتَلَخَّص في قُدْرة المرء وبخاصَّةٍ المترَبِّي الصَّغير على إدارة مشاعر الغضب والحزن والضِّيق والفرح، وغيرها من المشاعر التي تتولَّد لديه في المواقف المختلفة وبخاصَّةٍ في الموقف الصَّعب، فيتعلَّم كيفيَّة التَّحكم بانفعالاته، وإدارتها باقتدارٍ، وتَوْجيهها التَوْجيه الصَّحيح، ويَتَفَهَّم أيضاً مشاعر الآخَرين، ويتعرّف كيفيَّة طريقة التَّواصُل الجيّد معهم في تلك المواقف، ليتجَنَّب الإضرار بنفْسه وبالآخَرين، فتتقَلَّص أخطاؤه، ويَنْعم بنفسيَّةٍ مطمئنَّةٍ، وسلامٍ في مُحيطه مبتعِداً عن الانزلاق في هاوية الاكتئاب، أو الانكفاء على الذَّات، ونفور الآخَرين منه، وابتعادهم عنه. وهذه كِفايةٌ من أجَلّ ما يجب أنْ يركِّز عليه المرَبّون أثناء قيامهم بعمليَّة التَّرْبية للمترَبّي الصَّغير. وإنَّ تَعْليم المترَبّي الصَّغير مفهوم التَّطَوُّع بعَطاء السَّلْب يزيد في مساحة قُدرته على العَطاء، حيث العفو والتَّجاوز عن الإساءة والأخطاء، ممّا يعني اقْترابه من تحقيق السَّلامة النَّفسيَّة له والشُّعور بالرِّضى عن مِثل هذا الأداء.

٣،٥ الخُلاصة

لقد أكَّدَت مَباحِث هذا الفصل من الدِّراسة أنَّ التَّطَوُّع يُعتَبَر قيمةً عظيمةً في الإسلام، حيث استمدت أهمِيَّتها من أصالة ذِكْرها في القرآن الكريم وتأكيداته في الحثِّ عليها، بشكلٍ مباشِرٍ وغير مباشِرٍ،

[٨٢٦] بهاء الدين، ياسر. ٢٠١٧م. الذَّكاءات المتعددة واكتشاف العباقرة. جمهورية مصر العربية– القاهرة: دار عالم الثقافة. ص. ٣٨.

في جانب الخير لِما لتَفْعيلها من آثارٍ طيّبةٍ على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة، بل وعلى المجتمع بكامل مكوّناته، فالتَطَوُّع في الخير تتَحَقَّق به مصالحُ للبلاد والعباد. كما بَيَّنت من خلال النَّماذِج والأمثلة التَّطَوُّعيَّة التي حَوَتها بعض آيات القرآن الكريم أنَّ التَّطَوُّع في الخير هو المحمود عند الله سبحانه وتعالى على عكس التَّطَوُّع في الشَّرِّ، فلَه مضارٌّ قبيحةٌ وعواقب جسيمةٌ. وبيَّنَت الدِّراسة أنَّ التَّطَوُّع في الخير يمكن أنْ يتَأتَّى في صورة عَطاء إيجابٍ أو في صورة عَطاء سَلْبٍ. وبناءً عليه فقد استحدثت تعريفاً جديداً للتَطَوُّع.

كما أبْرَزت الدِّراسة للمهتمّين بالشَّأن التَّربويّ أيّاً كان موقعهم في البيت ضِمن نِطاق الأسرة، أو في رحاب المؤسَّسات التَّربويَّة وغيرها من مؤسَّسات المجتمع ذات العَلاقة بالشَّأن التَّربويّ باقةً من الدّروس المهمَّة، والعِبَر المسْتَلْهمَة من التَّطَوُّع بكلّ أشكاله وألوانه، إذ كَشَفت أنَّ له عَلاقةً وطيدةً بعددٍ من الكِفايات في تربية الصِّغار قبل وصولهم إلى مرحلة البلوغ، حيث تُشَكِّل هذه الكِفايات أحَد أهمِّ أهداف التَّرْبية الحديثة في هذا العصر، وتضعه في سُلَّم أولوياتها فتحرِص جاهدةً لغَرْسها في نفوس المتَرَبّين الصِّغار، خاصَّةً الكِفايات العامَّة[٨٢٧] والتي تُصَنَّف في الأدب التَّربوي إلى ثلاثة أنواعٍ من الكِفايات[٨٢٨]:

- كِفاياتٌ شَخصِيَّةٌ تَتَعَلَّق بالمفاهيم والمعتقدات، أي الكِفايات النَّظريَّة الذّهنيَّة،
- وكِفاياتٌ انفعاليَّةٌ وجدانيَّةٌ تَتَعَلَّق بالمشاعر في المواقف المختلفة،
- وكِفاياتٌ اجتماعيَّةٌ تَواصليَّةٌ تشمل التَّواصُل مع الانسان ومع البيئة.

إنَّ إمكانية إكساب شَخصِيَّة المتَرَبّي الصَّغير هذه الكِفايات المهمَّة من خلال غَرْس مفهوم التَّطَوُّع تُمهِّد الطَّريق أمامه ليتمتَّع بحاضرٍ خالٍ من الاعتلالات النَّفسيَّة، ويحافظ على هُويَّته الإسلاميَّة، وقِيَم أمَّته الحضاريَّة، ويُؤَهِّله لمستقبلٍ واعدٍ يُلبّي الطُّموحات.

---

[٨٢٧] انظر ص ٢١، ٢٢ من الفصل الأوَّل من هذه الدِّراسة.

[٨٢٨] وزارة التَّرْبية التونسية، *البرنامج العربي لتطوير مناهج التدريس وتوظيف تقنيات المعلومات والاتصال في التعليم والتعلُّم*. ٢٠١٣م. وحدة تدريبية (تكوينية) في مجال كِفايات القرن الحادي والعشرين. ص.٩.

إنَّ استخراج الكِفايات التَّربويَّة ممّا ورَد في أمْثلة القرآن الكريم يَتمتَّع بأهمِيَّة خاصَّةٍ، ذلك لأنَّ ضَرْب المثل من القرآن الكريم يُعطي للمَثَل قيمةً وأهمِيَّةً في ذِهن المتربِّي الصَّغير تختلف عن كلِّ قيمةٍ وأهمِيَّةٍ للمَثل من أيِّ مصدرٍ آخَر، فقيمة المثَل وأهمِيَّته مرتبِطتان بأهمِيَّة وقيمة المصْدَر الذي أُخِذَتا منه، والقرآن الكريم كلام رَبُّ العالَمين وليس كلام البَشَر، وله القداسة والتَّبْجيل، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بَيْن يدَيْه ولا من خَلْفه، ولا يَعتريه التَّغيير ولا التَّبديل. لذلك اهتَمَّت الدِّراسة في هذا الفصل بالبحث عنها واستخراجها لتكون عَوْناً للمُرَبّين في مُهِمَّتهم التَّربويَّة السَّامية بتَوْجيهها إلى المتربّين الصِّغار بأساليب مختلفةٍ تتَناسَب مع مستويات قُدُراتهم، وميولهم، وإمكانات البيئة المحيطة وظروفها لتُثْمِر في وجدان الصِّغار إيماناً عميقاً بالله، وتَسليماً لشَرْعه، وسلوكاً قَويماً في شَخصِيَّاتهم يَعكِس عَلاقَتهم بأنفسهم، وبالأقْرَبين، وبالمجتمع عامَّةً.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية